7me Année No. 314

Lundi - 10 - 7 - 1939

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

مـ

٦٠ فى مصر والسودان

٨٠ فى الأقطار العربية

١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى

١٢٠ فى العراق بالبريد السريع

١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤

عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٣١٤ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٢ جمادى الأولى سنة ١٣٥٨ — الموافق ١٠ يوليه سنة ١٩٣٩ » السنة السابعة

الفهـــــرس

من فكاهات العهد التركى فى بغداد

حدثنى المرحوم الزهاوى...

تركية القديمة — غفر الله لها — كانت فى دول الأرض معنى من معانى الإرهاب حروف لفظه السُّم والنِّيمُ والسجن والسيف والسوط ! جمعت فى يدها القوية أطراف الشرق والغرب ، ثم أدارت حول تاجها الرهيب هالة من خلافة الرسول فعنت لجلالها الوجوه ، وخشعت لسلطانها الأفئدة ؛ ولكنها لم تستطع أن تثبِّت ملكها بقوة الروح وبراعة الذهن وعبقرية البيان كما فعل العرب ، فظلت واقفة أمام شعوبها الثائرة عابسة الوجه معقودة العنق منشورة الشارب مشهورة السيف ، فحرمها ذلك الموقفُ نصيبها من طمأنينة السلم ومدنية العلم ونعمة الثقافة . وكان ولاتها على الأمصار الخاضعة يحكمون الناس بهذه العقلية الجهول ، فيظهرون الأبهة وينشرون الرهبة ويحصدون الأموال والأنفس بالضرائب والرُّشى والمصادرة والقتل . فإذا طالت الولاية واكتظ الوالى ورضى (المابين) وأراد الباشا أن يفكر فى الدين أو فى العلم أو فى الإصلاح دل على فهم بليد وغفلة عجيبة !

كنا ذات يوم نتحدث فى هذا وفيما جره على الأمة العربية من الجهل والذل والفقر ونحن جلوس فى ندوة السيد صبحى الدفترى محافظ بغداد يومئذ ؛ وهى ندوة تقوم فى داره المضياف

ضحى يوم الجمعة من كل أسبوع فيندو إليها الوزراء والزعماء والأدباء والقادة، فيكون لكل طائفة منهم حلقة وحديث. ولكن الزهاوي إذا تكلم أصغت إليه الدار وتحلقت عليه الندوة؛ لأن جميلاً كان آية الله في فكاهة الطبع وظرف المحاضرة وحلاوة الدعابة ورقة النبث . وكان له في إلقاء النادرة لهجة وإشارة وهيئة لا يبرح سامعها مستطار اللب نشوان المشاعر من غرابة ما يرى وطرافة ما يسمع

***

كان الحديث أول ما بدأ دائراً بيني وبين السيد ناجي الأصيل على أن الحرب وأوزارها استقلت بمواهب الترك فلم تدع لهم كفاية للسياسة والثقافة؛ وأخذنا نضرب الأمثال على ذلك مما جرى في العراق ومصر . وكان المرحوم الزهاوي بجانبي ، ولكنه كان مشغول الأذن بكلمة منافقة في العقاد والرصافي ألقيت إليه في خفوت وخبث. فلما تشربها سمعه وأجاز عليها القائل ببسمة وهزة وسيكارة ، أقبل علينا فسمع طرفاً من الحديث نبض له نابضه فقال : هُوهُوه! إذا حدثتك مولانا عن حمق الولاة من الترك لا ينتهي الحديث ولا ينقضي العجب!

ثم أرسل نكتته الحاضرة وضحك ضحكته الساخرة فتنبه المجلس إلى أن الزهاوي سيتحدث، فسكت المتكلم وأصغى المستمع وتهيأت النفوس للسرور الشديد والضحك المتصل؛ وأخذ الشاعر يقول:

أرسلت إلينا الدولة العلية بعد جفاف الريق والمداد من شكوى الجهل والفساد ، والياً يسير بالعراق في طريق المهارة والعلم ، فقابله البغداديون باحتفال عظيم وفرح شامل . وكان لي يومئذ يد في إدارة التعليم كما تريده الدولة، فقال لي الوالي ذات يوم : إنا نريد أن ننشئ مدرسة للبنات فابحثوا عن دار تصلح أن تكون لها مكاناً . وكان تعليم البنت في ذلك العهد أملاً من آمال المصلحين تتقارع حوله الأقلام بالحجج في غير طائل. فقلنا إن الرجل رحب الباع في الإصلاح ، ودللناه على جملة من الدور الكبيرة الصالحة ، فكان كلما دخل داراً قال إن الأبصار تجرح البنات من هنا ، والأسماع تسرق الأصوات من هناك؛ حتى لم يدع في بغداد داراً إلا عابها هذا العيب من طريق التوهم أو التخيل! وظهر من تصرف الرجل أن به بلاهة وغفلة ، فخطر لي أن أتداعب عليه لأكشف حاله للناس فلا يستنيموا الحكمه . فقلت له : أفندم! لم يبق في البلد كله إلا مكان واحد أرجو أن يقع من هواك موقع الرضى. فقال : امض بنا إليه . فذهبت به إلى (منارة سوق الغزل[1]) وصعدنا فوقها ، فلم تكد قدمه تستقر على شرفتها العليا ، وعينه تقع على سطوح بغداد وهي متطامنة تحت المأذنة العالية ، حتى شهق من الفرح وصاح بملء فيه : نعم! نعم! هذا هو المكان المناسب!

ثم نزل وفي نيته أن يتخذ الأهبة من المقاعد والأدراج ليفتتح المدرسة! فقلت له : مولانا! لا بد أن تجمع الناس قبل الافتتاح لتقنعهم بتعليم بناتهم فإنهم سيئو الرأي في ذلك التعليم . ونجاح الأمر موقوف على أن يعتقدوا فيك التقى والورع . وسأدلك على أقرب الطرق لتحقيق هذا الاعتقاد :

إذا اجتمع الناس واكتظ بهم الديوان جلست أنت في الصدر، وجلس عن يمينك وعن يسارك رجال المعارف؛ ثم تشعل (شبقك) وتأمر كلا منهم أن يفعل فعلك؛ ثم تبتدئ فتذكر الله بصوت موقّع على ضربات كفي وأنت تميل رأسك من الشمال إلى اليمين تارة ، ومن الخلف إلى الأمام تارة ، وأنا والحافّون من حولك نتابعك في كل كلمة وفي كل حركة. ثم حاول أن تأخذك الحال ويستخفك الذكر؛ فكلما أزبد الفم وأرعد الصوت وتشنج الجسم وهاج الدم ، كان ذلك أحمل للناس على أن يعتقدوا فيك الولاية فتقودهم صاغرين إلى ما تريد

وصدق الوالي كل ما قلته له تصديقاً لا تتخالجه فيه شبهة. وجاء يوم الجمع واحتشد الأعيان والوجوه يسمعون ما ذا يقول الوالي . وجلس الباشا وأنا بجانبه وشيوخ المعارف من حوله ، وأمر فأشعلت (الغلايين) الطويلة ، وأخذ يذكر ويترنم وأنا أرسم له ، والشيوخ يذكرون معه. ثم غمزته بعد حين فتهور و(تطور) وأرغى. وتظاهرت أنا بجذبة الوجد وسكرة التجلي فقرعت غليونه بغليوني ، ثم أخذت بلحيته البيضاء ورأسه الأصلع ، ففعل بي مثل ما فعلت به ، وأخذنا نتدحرج على البساط، فمرة أكون فوقه، ومرة يكون فوقي، والشيوخ يعجون بالذكر، والناس يضجون بالضحك، وأنا والوالي قد ملكتنا حميا الولاية فدخلنا في صراع عنيف لم يخرجنا منه إلا انقطاع النفس. فجلسنا مسترخيين نلهث من الأعياء وكلانا ينظر إلى صاحبه نظر الديك المنتوف إلى الديك المهيض . وذلك يا مولانا هو الوالي الذي اختير لتعليم الجاهل وتصحيح المريض!

احمد حسن الزيات

(١) منارة عريضة طويلة من آثار العباسيين نهب الناس المسجد من حولها وتركوها قائمة وحدها إلى اليوم

جنـــاية أحمد أمين
على الأدب العربي
للدكتور زكي مبارك

— ٥ —

رأينا أن نقف وقفة قصيرة نحادث فيها القراء قبل أن نأخذ في محاسبة الأستاذ أحمد أمين على الأغلاط التي وقعت في مقالاته السالفة وهو يحاول تزهيد الناس فيما ورثت اللغة العربية من ألفاظ الشعراء والخطباء

فماذا نريد أن نقول اليوم ؟

نريد أن نؤرخ الظاهرة العقلية التي بدت شواهدها حين واجهنا الجمهورَ بعيوب الطريقة التي يفكر بها الأستاذ أحمد أمين ، فقد انقسم ذلك الجمهور إلى فريقين : فريق راضٍ ، وفريق غضبان

والفريق الأول يستأهل اللوم قبل أن يستحق الثناء ، لأن هذا الفريق يمثل جمهور المشتغلين بتدريس اللغة العربية ؛ وهؤلاء قد ركنوا في الأعوام الأخيرة إلى التغاضي عن نقد ما يُكتب أو يقال في السخرية من ماضي اللغة العربية . وقد يكون لهذا التغاضي أسباب : فهم في كدح موصول بفضل ما يحمل المدرس من ثقال الأعباء ؛ وهم قد رأوا المجادلات السياسية شغلت الناس عن المجادلات الأدبية ؛ وهم قد سمعوا أن كلية الآداب صار إليها الأمر كله في توجيه التلاميذ والمعلمين إلى قواعد الدراسات الأدبية ، فلا حرج عليهم إن انسحبوا من الميدان

تلك جملة الأسباب التي صرفت أساتذة اللغة العربية عن المشاركة في النقد الأدبي

فهل يعرفون أن سكوتهم هو الذي أطمع بعض الناس في أن يبغي ويستطيل ؟

لو كانت كلية الآداب تعرف أن في مصر رقابة أدبية لما وقعت في المضحكات حين قررتْ أن تدرس لطلبة السنة الأولى أسلوب أحمد أمين وأن تمتحنهم في أسلوب أحمد أمين

ومن المحنة جاء الامتحان !

أحمد أمين له أسلوب ؟

آمنت بالله !

ومن هم المدرسون الذين يدرسون لطلبة كلية الآداب ذلك الأسلوب « الأحمدي » ؟

هم شبان تخرجوا في كلية الآداب وموقفهم في هذه القضية أحرج المواقف ، لأنهم يعرفون أن أحمد أمين من أساتذة الكلية ، ولأنهم يعرفون أنه رجل سريع الغضب والاكتئاب . وهم أيضاً يعرفون — وا أسفاه ! — أن كلمة الحق في أحمد أمين قد تحمل بعض المتملقين على وصفهم بالجهل !

ولم يقف الأمر عند كلية الآداب بجامعة القاهرة — جامعة فؤاد الأول — بل تعداه إلى كلية الآداب بجامعة الإسكندرية — جامعة فاروق الأول — فهنالك الأستاذ أحمد الشايب وهو الأديب الفاضل الذي ألف كتاباً لطيفاً سماه « الأسلوب » وفيه يقرر أن أسلوب أحمد أمين له مزايا وخصائص

فهل لأحمد أمين أسلوب حتى تخلق لأسلوبه مزايا وخصائص ؟

***

أشهد مرة ثانية أن الجامعة المصرية أمرها عجب !

فالدكتور طه حسين الذي وقف بقصر الزعفران في ربيع سنة ١٩٢٧ يلقي كلمة الجامعة في مهرجان شوقي ، ثم رأى أن تكون خطبته في الأخطال لا في شوقي بحجة أن الجامعة لا تؤرخ الأحياء ، هو نفسه الذي ارتضى أن يدرس أسلوب أحمد أمين بكلية الآداب !

فكيف يكون الحال لو اعتدل الزمان وقيلت كلمة الحق في التدريس بكلية الآداب ؟

أيستطيع إنسان أن يفرض على مدرس أن يعترف بأن أحمد أمين له أسلوب ؟

وماذا نقول للشبان الذين يفدون من أقطار الشرق وقد عرفوا من قبل أن أحمد أمين قد يكون من الباحثين ولكنه لن يكون من الكتاب ولا الأدباء ؟

وكيف تكون حجتنا أمام الأقطار العربية إذا سمعت أننا ندرس أسلوب أحمد أمين كما ندرس أساليب العقاد والمازني وهيكل وطه حسين والزيات ؟

أتريدون الحق ؟

إن أحمد أمين لم يكن له أسلوب يدرس في كلية الآداب إلا لأنه أستاذ في كلية الآداب ، وإلا فكيف غابت قيمة أسلوبه عن أساتذة

الأزهر وأساتذة دار العلوم وهم لم يلتفتوا إليه حين التفتوا إلى أساليب الكتاب فى العصر الحديث ؟

إن الرجل لا يكون له أسلوب إلا يوم يصح أنه يحس الثورة على ما يكره ، والأنس بما يحب ، فعندئذ تعرف نفسه معنى الانطباعات الذاتية ويعبر عن روحه وعقله وقلبه بأسلوب خاص

لقد اشتغل أحمد أمين بالقضاء الشرعى بضع سنين ، فهل قرأتم له مقالاً أو قصة تدل على أنه توجّع مرةً واحدةً للمآسى الإنسانية ؟

لقد عاش أحمد أمين مدة بالواحات ، فهل سمعتم قبل أن تسمعوا منى أنه عاش بالواحات ؟

لو كان أحمد أمين أديباً لحدثكم عن تلك المروج التى يجهلها المصريون

ولكن أحمد أمين لم يكن أديباً ، وإنما كان موظفاً مخلصاً لواجب الوظيفة لا يرى ماعداها من الشؤون ، ثم قال له طه حسين كن أديباً فكان !

***

وهنا أوجه القول إلى من أغضبهم هجومى على الأستاذ أحمد أمين

فمن هم أولئك الغاضبون ؟

منهم محام فاضل ألف عدة كتب فى الحياة الأدبية والاجتماعية وقد كتب إلىّ مرتين يدعونى إلى الترفق فى الهجوم على هـذا « الأديب »

وهذا المحامى الفاضل يعجب من أن نصحح رأى الأستاذ أحمد أمين فى القرآن ، وهو يظن أن اللذات الحسية التى سينعم بها المؤمنون فى الجنة إنما هى لذات روحية

وأقول إن القرآن وعد المؤمنين بأن سيكون لهم فى الجنة لحم طير مما يشتهون ، وحورٌ عِين كأمثال اللؤلؤ المكنون ، وسيقال لهم : « كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم فى الأيام الخالية »

وظاهر النصوص هو الأصل ، فهل يرى هذا المحامى الفاضل أن نؤول كلام الله ليصح كلام أحمد أمين ؟ !

ومنهم كاتب مشهور أخذ يوسوس ذات اليمين وذات الشمال بأن زكى مبارك مولع بهدم الرجال ، وأنه لو عدم مجالاً للخصومة لخاصم نفسه بلا ترفق !

وأنا أترك الرد على هذه التهمة لمن يعرفوننى معرفة شخصية من أمثال العقاد والمازنى وهيكل والزيات ، بل أترك الرد على هذه التهمة لحضرة الأستاذ أحمد أمين

كيف تشيع عنى هذه القالة السيئة وأنا الكاتب الوحيد التى احترم معاصريه فتحدث عنهم فى مقالاته ومؤلفاته بما يحبون ، وسجل آراءهم فى الأدب بنزاهة وإخلاص ؟

ما هو الشر الذى تنطوى نفسى عليه حتى يستبيح الزملاء اتهامى بحب المناوشات والمشاغبات ؟

لقد تأدبت منذ أعوام طوال بأدب أبى منصور الثعالبى رحمه الله فتحدثت فى رسائلى ومؤلفاتى عمن عاصرت من الرجال كما تحدث الثعالبى عن معاصريه من الكتاب والشعراء

فأين تكونون يا أدباء الجيل من هذا المسلك النبيل ؟

إن أدباء العراق والشام ولبنان ينكرون عليكم ما تتهموننى به من حب الشغب والصيال ، ففى جرائدهم ومجلاتهم وأنديتهم تحدثت عن أدباء مصر بالخير والجميل

بل أذهب إلى أبعد من ذلك فأصرح بأنى عاديت كثيراً من الناس فى سبيل الدفاع عن أعدائى من أهل الأدب والبيان . ولو شئت لأقمت الشواهد على صحة ما أقول

فكيف يصح أن يتهمنى أدباء مصر بالتحامل عليهم وأنا الذى أحسنت السفارة عن الأدب المصرى فى كل بلد حللت فيه ؟

الحق أن أكثر أدباء مصر يحبون أن يعيشوا مدلَّلين فى زمن لا ينفع فيه الدلال !

الحق أنهم استمرأوا العافية من مكاره النقد الأدبى ، فهم يصرخون كلما هجمنا عليهم لنعود إلى مهادنتهم من جديد

ولو أنهم فكروا قليلاً لعرفوا أنى أؤدى الزكاة عن النشاط المصرى . فقد شاع فى كل أرض أن الأدباء المصريين تنكروا للنقد الأدبى ولم يعودوا يعرفون غير مقارضة الحمد والثناء

***

وأوجه القول مرة ثانية إلى من أغضبهم هجومى على الأستاذ أحمد أمين فأقول :

إن هذا الرجل أراد أن يؤرخ العصر العباسى من الوجهة الأدبية فجعله عصر معدة لا عصر روح ، وشاء له أدبه أن يختص البصرة بحكم من أحكامه القاسية فزعم أنها عرفت « ثقافة الطفيليين »

فهل خطر فى بال هذا الباحث الفضال أن البصرة عرفت أكرم نوع من نكران الذات حين كانت مهداً لإخوان الصفاء؟

هل خطر بباله أن البصرة حين آوت هؤلاء الباحثين العظماء قهرت التاريخ على أن يشهد لها بقوة الروحانية؟

ومن الذى يصدق أن رسائل إخوان الصفاء وهى أعظم ذخيرة أدبية وفلسفية وُضعت أصولها فى البلد الذى زعم أحمد أمين أنه أنشأ أدب التطفيل؟

هل يعرف أحمد أمين من هو مؤلف «رسالة الطير والحيوان» وهى رسالة لم يُكتب مثلها فى مشرق أو فى مغرب؟

إن هذه الرسالة وضعت فى البصرة، أو ألفها رجل استوحى أهل البصرة، أفما كانت تصلح هذه الرسالة شفيعاً للبصرة فتنقذها من قالة البهتان على لسان أحمد أمين؟

ثم ماذا؟

ثم استطاعت البصرة أن تنشئ مذهباً فى النحو شغل الأمم الإسلامية نحو اثنى عشر قرناً

ولو أن أحمد أمين كان يدقق لعرف أن البصريين لم يصلوا إلى ذلك إلا بقوة الروح، فكيف شاء له هواه أن يجعلهم أصحاب معدات؟

لو أن معدتى كانت كما أحب من القوة والعافية لأكلت لحم الأستاذ أحمد أمين وأرحت الدنيا من أحكامه الجائرة فى الأدب والتاريخ

ولكن الدهر حكم بأن أكون من أصحاب الأرواح فلم يبق لى فى محاسبته غير شيطنة الروح، وفى الأرواح شياطين!

وتحامُل أحمد أمين على البصرة وعلى العصر العباسى هو الذى أثارنى عليه، فإن كان فى الناس من يتوهم أن بينى وبينه ضغينة وأننى أشفى صدرى بتنغيصه، فهو من الآثمين وسيلقى الجزاء يوم يقوم الحساب

ولن ينقضى عجبى من أهل هذا الزمان

فما كنت أظن أن أهل مصر يستكثرون على رجل أن يقول كلمة الحق لوجه الله؟

ما كنت أظن أن من واجبى أن أكف قلمى عن رجل يتطاول على ماضى الأدب العربى وهو بشهادة نفسه غير أديب!

أليس من المزعج أن يكون من تقاليد الصحافة الأدبية فى مصر أن تمجد رجال الغرب وتنتقص رجال الشرق؟

أليس من المزعج أن تكون عيوب الناس فى الأعصر الماضية مقصورة على أسلافنا وهم الذين أحيوا الثقافة الأدبية والعقلية فى عصور الظلمات، وبفضلهم حُفِظ أكثر تراث الهند والفرس والروم؟

أليس من المؤلم أن يقال لمن يغار على ذلك الماضى المجيد «إنك ذو ضغينة وإنك تشفى صدرك بتكلف الغيرة على ماضى اللغة العربية»؟

إن الرجل الذى يملك الفصل فى هذه القضية هو الأستاذ أحمد أمين، فليذكر متى عاديته؟ ومتى حقدت عليه؟ ومتى وقع بينى وبينه ما يورث الشحناء؟

إن أحمد أمين لم يوجّه إلىّ أية إساءة، وربما جاز أن يقال إنه لم يؤذ أحداً من معاصريه، فقد كان ولا يزال مثال الطيبة واللطف

ولكن أحمد أمين الذى كف شره عن الأفراد وجّه شره إلى التاريخ، فهو يدوس ماضى اللغة العربية بلا تحرز ولا رفق، ولو تركناه شهرين اثنين يؤرخ الأدب على هواه لجعل الأمة العربية أضحوكة بين العالمين.

فإن كان هناك شىء يكتب لوجه الله فهو ما أكتب عنك يا صديقى أحمد أمين

* * *

أما بعد فقد بقيت معركة حامية حول ما سماه أحمد أمين «جناية الأدب الجاهلى على الأدب العربى» فإن اتسع صدر «الرسالة» لتلك المعركة فسأخدم الأدب العربى خدمة باقية. وإن ضاق صدر «الرسالة» عن هذه المعركة فسأنقل الميدان إلى مجلة أو مجلتين أو مجلات فى مصر والشام والعراق، وحسبنا الله وهو نعم الوكيل.

«مصر الجديدة» — زكى مبارك

الفقيد الراحل

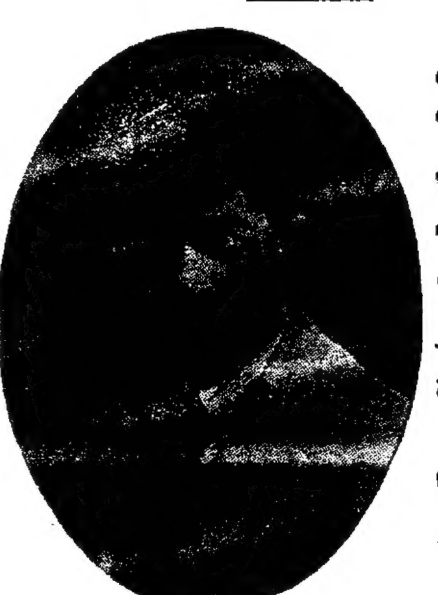
فليكس فارس

١٨٨٦ – ١٩٣٩

للأستاذ كامل محمود حبيب

حملتك الأمواج غصناً من الأرز كبيراً يفوح منه العبير
تعاليت في الجلاد صبوراً علم الناس كيف يحيا الصبور
وترامت من سما المجد صقراً علم الدهر كيف تقضي الصقور

فليكس فارس



عزيزٌ على النفس أن تتحدث عنك ميتاً ، وقد كنت « بالأمس » ملء القلب، ملء الفؤاد، ملء السمع والبصر ملء هذه الحياة الفارغة ...

انطوى هذا الفكر الوقاد ، وانطفأ هذا القبس اللامع ، وانحبس هذا الصوت الرنان ، وثوى العبقري الثائر في رمسه ، وفي قلوب صحابه آهة عميقة وفي أعينهم عبرات حرّى

هذا النغم الحادي كان حلواً تتطرّب له النفس !

هذه النفس العالية كانت طيبة رفافة لم تشبها نزوة من نزوات الكبرياء !

هذا القلب كان كبيراً ... كبيراً لم تفسده ترهات الحياة !

ففي ذمة الله أيها النغم الحادي ، وأيتها النفس العالية ، وأيها القلب الكبير !

فليكس فارس ! هذا هو الرجل !

أخذ العلم من كتاب الحياة فما تشرّب روح المدرسة ، وفي المدرسة عسف وظلم ، وفيها إغضاء عن النبوغ الفطري ، وفيها كَبْت للمواهب المتأججة، فسما بنفسه، وعلا بروحه، وتفتح الكمّ عن زهرة يانعة وهو ما يزال عند التاسعة عشرة ، شاباً ريّق الشباب وفتى غضّ الفتوة ؛ فدخل المدرسة — أول ما دخل — أستاذاً للبيان العربي في مدرسة عبية ؛ ثم لمعت أول مقالاته الأدبية في جرائد سوريا ولبنان .

وأعلن الدستور العثماني سنة ١٩٠٨ فتدفق البيان على لسانه ، وتراءى خطيباً تنقطع دون بلاغته ألسنة الخطباء ، فتألق نجمه . ثم ألقى عن نفسه عبء التدريس ليخوض غمار السياسة عضواً فذاً في جمعية الاتحاد والترقي العثمانية ، واختارته لجنة سالونيك — بعد حين — ليكون عضواً عاملاً فيها يؤسس الجمعيات الدستورية في أرجاء البلاد .

وجرفته السياسة في تيارها فأصدر جريدته «لسان الاتحاد» تتحدث عن نوازع نفسه ، وآمال قلبه في السياسة والأدب جميعاً . ثم ... ثم عُيِّن أستاذاً للخطابة والأدب الفرنسي في المدرسة السلطانية بحلب .

واستعرت نار الحرب العظمى فما برح مكانه حتى دخل الجيش العربي البلاد فتخيرته الحكومة الهاشمية سكرتيراً لحكومة حلب ، ثم مديراً عاماً لإدارة حصر الدخان ، فما شغله المنصب عن أن يقوم — بين الفينة والفينة — خطيباً يدعو إلى الوحدة العربية وإلى رفض الانتداب الأوربي

وفي سنة ١٩٢٠ أبحر إلى أمريكا يطلب إلى المهاجرين من بني وطنه العودة إلى بلادهم ، وقد عزّ عليه أن ينأى جماعة من أفذاذ قومه عن ديارهم أحوج ما تكون إليهم ، وفيهم العالم والصانع والتاجر ، فقضى سنة يضرب في أنحاء أمريكا يخطب للمهاجرين بالعربية مرة وبالفرنسية أخرى ، علّهم يثوبون ؛ وهناك تعرّف إلى أعضاء الرابطة العربية جميعاً ووصل بينه وبينهم برباط من المحبة ، وتوثقت بينه وبين جبران خليل جبران العبقري الفنان صلات من الهوى والصداقة .

وعاد إلى لبنان وفي خياله أن يستطيع أن يقنع الجنرال بيرو المندوب السامي الفرنسي بوجوب التفاهم مع العناصر الوطنية ، وتشجيع المهاجرين على العودة إلى وطنهم . ومال الجنرال بيرو إلى رأى الأستاذ غير أن الحكومة الفرنسية رأت أن ترسل الجنرال فيجان ليشغل منصب الجنرال بيرو ... فانفجرت الثورة وتطاير شررها هنا وهنالك ، ولكن اليأس لم يجد طريقه إلى القلب الكبير ... قلب الأستاذ فليكس ، فراح يكتب إلى صديقه المسيو جوسران سفير فرنسا في واشنطن ، وإلى ذوى المكانة العليا

فى فرنسا ، يكشف لهم جميعاً عن خطل السياسة الفرنسية فى بلاده ؛ غير أن صرخاته ذهبت نهب الرياح ، فكبر عليه أن يعمل مع حكومة تسير على مبدأ لا يقرّه ، فنبذها جانباً ، ولبس ثوب المحاماة .

وفى أواخر سنة ١٩٣٠ عين رئيساً للتراجمة فى بلدية الأسكندرية فترك بلاده ومهنته ليستقر فى الوطن الثانى الجميل ... فى مصر ، وليجد هنا أصدقاء أحباء يعوضونه ما فقده فى وطنه الأول

تلك لمحة عاجلة عن حياة الأستاذ الفقيد فيها عظة وحكمة

***

لم يكن للأستاذ فليكس أن يكبح جمحات نفسه ، بعد إذ لمس الإخفاق فى وطنه الأول ، وهو قد هبط وطنه الثانى شعلة من نشاط تتقد ، فاندفع يتعرف على جماعة من أدباء هذا العصر ... ثم قرأ للأستاذ الزيات — أطال الله عمره — وجمع أعداد (الرسالة) لا تفوته فيها شاردة ولا واردة ؛ وعكف على دراسة أدب الرافعى — رحمه الله — حين استهوته مقالاته فى (الرسالة) ؛ وترجم له مقالته «رؤيا فى السماء» إلى الفرنسية وعلق عليها، ونشرها مع التعليق فى غير واحدة من الجرائد الفرنسية ، وأعجب بماهلى الأدب العربى الحديث وتمنى لو رآها

وفى صيف سنة ١٩٣٦ تعرف إلى الأستاذ الرافعى ـ رحمه الله ـ وطلب إليه أن يزوره فى داره فى كامب سيزار برمل الأسكندرية فلبى الدعوة وأنا برفقته ... فألفيت رجلاً هادىء الطبع ، طلق المحيا ، كريم الخلق ، جميل الصحبة . وكان وجهه ـ ونحن فى داره ـ يتهلل بشراً وسروراً ... وهكذا ابتدأت أول وشيجة بينه وبين أسرة (الرسالة) الغراء ، ومضت أيام فإذا صوت صرير قلمه يرن على صفحات (الرسالة)

ثم انطلق يتلمس الطريق إلى الأستاذ الزيات ويستزيره فى إلحاح . وفى صيف سنة ١٩٣٧ دخل الأستاذ الزيات دار صاحبه فليكس ـ لأول مرة ـ وأنا إلى جانبه . يا عجبا ! إننى أرى صاحب الدار يهتز من فرط الفرح كأنه يلاقى حبيباً طال اغترابه ؛ وإنه ليتراءى لى أنه يهم أن يضم الأستاذ الزيات إليه لولا هيبته . وتقدمت الأيام وفى قلب كل منا لصاحبه المحبة والإخلاص والوفاء

عرفنا الأستاذ فليكس فعرفنا فيه الأديب الفذ والشاعر الرقيق ، وفقدناه ففقدنا فيه الأخ الوفى والصديق الصادق

فنى ذمة الله ، وفى رحمة الله ... يا صديقى !

كامل محمود حبيب

فى بلاط الخلفاء

حماد وهشام بن عبد الملك

للأستاذ على الجندى

ضمّت الكوفةُ فى وقت واحد ثلاثة نفر يُقال لهم : الحمادون[1] ، وهم حماد عَجْرد ، وحماد الراوية ، وحماد الزِّبْرِقان أو ابن الزبرقان . كان هؤلاء الثلاثة يتعاشرون بثلاثة أجساد تُصرّفها روح واحدة . ولم يكن غريباً أن يجتمعوا على هذا الود الوثيق ، فقد ألفت بينهم رابطة الأدب ، ولحمة الزندقة ، وآصرة أخرى تُسامِى رضاع الثدى وهى رضاع الكأس ! ولله دِعْبل إذ يقول :

أذكرْ أبا جعفر حقًّا أمتُّ به ... أنى وإياك مشغوفان بالأدب
وأننا قد رضعنا الكأس دِرّتها ... والكأس دُرّتها حظى من النسب

والذى يعنينا من هذا الثالوث العجيب المتّحد فى الاسم والنزعة والهوى والنِّحلة ، حماد بن ميسرة الديلمى مولى بكر بن وائل . كان هذا الرجل آية دهره فى العلم بأنساب العرب وأيامها وحفظ لغتها وأخبارها وأشعارها ، فخلع عليه معاصروه — على بخل المعاصرة وحقدها — لقب الراوية ؛ وهو لقب فخم رفيع لم يُمنحه جُزافاً بل انتزعه انتزاعاً عن استحقاق وجدارة

يحدثون أن الوليد بن يزيد سأله : بم استحققت هذا اللقب فقيل لك الراوية ؟ فقال : لأنى أروى لكل شاعر تعرفه — يا أمير المؤمنين — أو تسمع به ، ثم أروى لأكثر منهم ممن أعرف أنك لم تعرفه ولم تسمع به ، ثم لا أُنشَد شعراً لقديم ولا مُحدث إلا ميزت القديم منه من الحدث . فقال الوليد : إن هذا لعلم — وأبيك — كبير . فكم مقدار ما تحفظ من الشعر ؟ قال : كثير . ولكننى أنشد على كل حرف من حروف المعجم مئة قصيدة طويلة ، سوى المقطعات من شعر الجاهلية دون شعر الإسلام !

وكأن الوليد استراب بحفظه فقال : سأمتحنك فى هذا ، وأمره بالإنشاد ، فأنشده حتى نال منه الضجر ! فوكل به من يسمع

(١) معجم الأدباء ج — ١٠ — ٢٥٠ — ٢٥٩

منه ، واستحلفه أن يصدقه عنه ويستوفى عليه ، فأنشده ألفين وتسعمائة قصيدة جاهلية ، ورفع الأمر إلى الوليد ، فأجازه بمائة ألف درهم

ولكن مما يحز فى النفس أن حماداً لم يكن متحلياً بتلك الشرائط التى تعد قوام الرواية من أمانة وصدق وإخلاص !

فقد شاء ألا يقنع بما أفاء الله عليه من مواهب عالية ، وبما حصله بجهده من ثروة أدبية ضخمة تتقطع دونها أعناق الفحول ! فاستغل حفظه للشعر وبصارته بمنازع الشعراء ، وقدرته على النظم ، ودقة مسلكه فى التقليد ، وغرامه بالتزيد فى الوضع والتلفيق والتدليس ! فكان يقرض الشعر وينحله من يشاء من شعراء العرب ، ويجوز ذلك على أكثر الناس لفرط المشابهة بين الأصيل والدخيل !

ومن السهل على من رُزق علم حماد وقوة طبعه وحدة قريحته وبارع زكانته ، أن يفعل مثل فعله لا فرق بين متقدم ومتأخر !

يقول الثعالبى[1]: إن الصاحب يوماً قال لجلسائه – وقد جرى ذكر أبى فراس الحمدانى – : لا يقدر أحد أن يزور عليه شعراً . فقال البديع الهمذانى : ومن يقدر على ذلك وهو القائل :

رويدك ، لا تصل يدها بباعك ... ولا تغر السباع إلى رباعك

ولا تعن العدو على إنى ... يمين إن قطعت فمن ذراعك

فقال الصاحب : صدقت ! فقال البديع : أيد الله مولانا قد فعلت ! – أى زورت عليه –

والغريب فى أمر حماد أنه كان لا يستحى أن يتبجح بهذا الضلال البعيد ! فكان يقول[2] : ما من شاعر إلا أدخلت فى شعره أبياتاً فحملت عنه إلا أعشى بكر فإنى لم أزد فى شعره قط غير بيت واحد . فقيل له : ما هو ؟ قال :

وأنكرتنى وما كان الذى نكرت
من الحوادث إلا الشيب والصلعا

وأغرب من هذا أن جرأته كانت تطوع له الكذب على الخلفاء المعروفين بدقة الفطنة وسعة المعرفة ! فقد روى صاحب الأغانى بسنده عن جماعة ذكر أنهم كانوا فى دار الخليفة المهدى إذ خرج بعض أصحاب الحاجب فدعا بالمفضل الضبى الراوية ، فدخل فمكث ملياً ثم خرج ومعه حماد الراوية وحسين الخادم ، وقد بان فى وجه حماد الانكسار والغم ، وفى وجه المفضل السرور والنشاط . ثم نادى الخادم : يا معشر من حضر من أهل العلم ، إن أمير المؤمنين يعلمكم أنه قد وصل حماداً الشاعر بعشرين ألف درهم لجودة شعره ، وأبطل روايته لزيادته فى أشعار الناس ما ليس منها . ووصل المفضل الضبى بخمسين ألف درهم لصدقه وصحة روايته . فمن أراد أن يسمع شعراً محدثاً فليسمع من حماد ، ومن أراد رواية صحيحة فليسمعها من المفضل

وقد كان السبب أن المهدى قال للمفضل – لما دعا به وحده – إنى رأيت زهير بن أبى سلمى افتتح قصيدته بأن قال :

دع ذا ، وعد القول فى هرم ... خير البداة وسيد الحضر

ولم يتقدم له قبل ذلك قول ، فما الذى أمر نفسه بتركه ؟ فقال المفضل : ما سمعت يا أمير المؤمنين فى هذا شيئاً ، إلا أنى توهمته كان يفكر فى قول يقوله ، أو يروى فى أن يقول شعراً فعدل عنه إلى مدح هرم وقال : دع ذا . أو كان يفكر فى شىء من شأنه فتركه وقال : دع ذا . أى دع ما أنت فيه من الفكر وعد القول فى هرم . فأمسك عنه المهدى ودعا بحماد فسأله فى ذلك . فقال : ليس هكذا قال زهير يا أمير المؤمنين . قال : فكيف قال ؟ فأنشده :

لمن الديار بقنة الحجر ؟ ... أقوين مذ حجج ومذ دهر

لعب الزمان بها وغيرها ... بعدى سوافى[1] المور والقطر

... ...

دع ذا ... الخ

فأطرق المهدى ساعة ثم أقبل عليه فقال : قد بلغ أمير المؤمنين عنك خبر لا بد من استحلافك عليه ! ثم استحلفه بأيمان البيعة – وكل يمين محرجة – ليصدقنه عن كل ما يسأله عنه . فحلف بما توثق منه . فقال له : اصدقنى عن حال هذه الأبيات ومن أضافها إلى زهير . فأقر له أنه قائلها . فأمر فيه وفى المفضل بما أمر به من شهرة أمرهما وكشفه

هذا الضعف الخلقى الذى عرف به حماد هو ما حدا الأصمعى أن يقول فيه : كان حماد أعلم الناس إذا نصح (يعنى إذا لم يزد وينقص) وكذلك قال فيه المفضل الضبى : قد سلط على الشعر من حماد الراوية ما أفسده فلا يصلح بعده أبداً ! فقيل له : وكيف ذلك ؟ أيخطئ فى الرواية أم يلحن ؟ قال : ليته كان كذلك ، فإن أهل العلم يردون من أخطأ إلى الصواب ، ولكنه رجل عالم بلغات العرب وأشعارها ومذاهب الشعراء ومعانيهم ، فلا يزال

(١) اليتيمة ج ١ ص ٧٠

(٢) العقد الفريد ج ٣

(١) السوافى : الرياح والمور : التراب

يقول الشعر يُشَبِّه به مذهبَ رجل ويدخله فى شعره ، ويُحْمَل عنه ذلك فى الآفاق ، فتختلط أشعار القدماء ولا يتميز الصحيح منها إلا عند عالم ناقد ، وأين ذلك ؟ »

وقد هجا حماداً أحمد بن يحيى[1] هجاء طريفاً يمكننا أن نقف منه على شكله وهيئته وزيه ورأى الناس فيه . قال :

نعم الفتى لو كان يعرف ربَّه ويُقيم وقت صلاته حمّادُ
بسطَتْ مَشافرَه الشَّمولُ فأنفُه مثلُ القَدوم يَسُنُّها الحدّاد
وابيضَّ من شرب المُدامة وجهُه فبياضُه يوم الحساب سواد
لا يُعْجِبنّك بَزّه ولسانُه إن المجوسَ يُرَى لها أسباد

وقد نشأ حماد فى العهد الأموى سنة خمس وتسعين هجرية ، وكان أثيراً لدى خلفاء بنى مروان ، يستزيرونه فيفد عليهم ليحدثهم عن أيام العرب وأخبارها وينشدهم أشعارها ، فيظهرون إعجابهم به وينفحونه بالأعطيات السنية

وقد خفَّ على قلب يزيد بن عبد الملك منهم فانقطع إليه واختص به ونادمه ، فحصّل منه دُنيا عريضة وعاش فى حال رافهة

ولكن هذه النعمة السابغة كادت تحوُل جائحة مستطيلة لولاما قُدِّر له من طول السلامة ! فقدكان بين راعيه يزيد وأخيه هشام جفوة شديدة مردها إلى أنهما من أبناء العلاّت[2] ، فأم يزيد عاتكة بنت يزيد بن معاوية الأموية ، وأم هشام عائشة بنت إسماعيل المخزومية ، وأهم من ذلك أن يزيد كان يريد أن يبايع لابنه الوليد القاصر ، فصرفه أخوه مسلمة بلباقة وكياسة إلى مبايعة أخيه هشام الراشد ، ولكن يزيد ندم بعد أن تم الأمر ، فاستشرت العداوة بين الخليفة وولى عهده حتى اضطر هشام أن يعيش خارج دمشق ، وتبع ذلك أن حقد على حاشية أخيه وبطانته ، ومنهم حماد زينة البلاط ونجمه اللامع !.

فلما آلت الخلافة إلى هشام خافه حماد على نفسه خوفاً شديداً فانزوى فى كِسر بيته مدة عام كان فى خلالها — إذا ضاق صدره — ينسلُّ فى سر من الناس إلى الثقات من إخوانه خائفاً يترقب ؟ ولما انقضت هذه الفترة ولم يتوجه إليه طلب ، ظن أنه قد بلغ مأمنه ، فبرز من مخبئه وصلى الجمعة فى الرُّصافة[1] ، ولم يقنع بذلك حتى جلس عند باب يدعى باب الفيل ، وإذا شرطيان كأنما نبعا من الأرض قد وقفا عليه وقالا : ياحماد ، أجب الأمير يوسف ابن عمر (والى العراق) فانخلع قلب حماد من الرعب ، وقرع سِنّ الندم على خروجه ، وتوسل إليهما أن يستأنياه حتى يأتى أهله فيوصي بهم وإليهم ، ثم يصير معهما إلى حيث يريدان ، فأجاباه فى خشونة الزبانية : ما إلى ذلك من سبيل ! وأخذا بعضديه ، فاستبسل[2] للموت واستقاد لهما حتى بلغا به الأمير وهو جالس فى الإيوان الأحمر ، فسلم عليه حماد بصوت مصحول فكان رد السلام أن ألقى إليه كتاباً فيه ما يأتى :

بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله هشام أمير المؤمنين إلى يوسف بن عمر . أما بعد ، فإذا قرأت كتابى هذا فابعث إلى حماد الراوية من يأتيك به غير مُرَوَّع ولا مُتعتَع[3] وادفع إليه خمسمائة دينار وجملاً مهرياً يسير عليه اثنتى عشرة ليلة إلى دمشق

ففاضت بشاشة الطمأنينة على قلب حماد ، وقبض الدنانير الصفر وقد امتزج لألاؤها ببريق السرور الخاطف على وجهه !

وفى الحق أن حماداً كان مسرفاً فى خوفه من هشام ، فقد كان هذا الخليفة غزير العقل راجح الحلم عفيف النفس جامعاً لأدوات الرياسة ، حتى كان الأشياخ يقولون : أُديل من الشرف وذهبت المروءة بموت هشام ! ومن كانت هذه صفاته فكثير عليه أن ينكل بأديب مستضعف كلُّ جريرته أنه كان متصلاً بسلفه

وقد هيئ لحماد جمل مرحول فركبه من ساعته ، وسار يُغِذّ فى السير اثنتى عشرة ليلة حتى وافى دمشق ووقف بباب هشام مستأذناً فى الدخول إليه ، فأذن له .

[البقية فى العدد القادم]

على الجندى

(١) أمالى المرتضى ج ١ ص ٩٠ (٢) الضرائر

(١) المراد بها رصافة الشام وهى مدينة فى غربي الرقة على طرف الصحراء (خزانة الأدب ج — ٢ — ٣٥١)
(٢) استبسل للموت : استسلم له (٣) مكره



وسائل الاغتياب

للأستاذ عبد الرحمن شكري

كل إنسان من الناس لا يعد الاغتياب اغتياباً إلا إذا كان قد أتى من غيره في حقه أو في حق عزيز عنده أو مرضي عنه لديه . أما إذا أتى الاغتياب من غيره وقصد به انتقاص غير عزيز عنده ولا مرضي عنه ؛ أو إذا كان هو الذي يغتاب فإنه لا يعد الاغتياب في هذه الحالات اغتياباً بل يعده مكرمة وفضيلة، فيعده انتصاراً للحق وهداية إلى الفضيلة وإظهاراً للنقص ومحاربة للرذيلة وتحذيراً للسامع من الشر . وهكذا تتغير حقائق الأمور حسب أهوائه، وبذلك يسيطر على ضميره ويخدع ضمائر الناس. فالاغتياب منه فضيلة ليس بعدها فضيلة ؛ أما من غيره فالاغتياب دليل على لؤم النفس وخساستها . وهو إذا اغتابه أحد الناس لم يعد اغتياب المغتاب له فضيلة وهداية إلى الفضل ومحاربة للنقص كما يعد الاغتياب الذي يجيء من نفسه في حق الناس . وكثيراً ما يلجأ المغتاب إلى أساليب عجيبة كي يقبل اغتيابه فيقول : إني لا أريد أن أنتقص فلاناً أو أن أذمه فإنه رجل فاضل، ثم يغتابه بما لا يترك له فضلاً ولا فضيلة. وقد يمدح عمل الرجل في صنعته كي يقبل الناس ذمه له في أخلاقه ؛ وذلك لأن الفضل في العمل قد لا يخفى على البصير الحاذق الذي يستطيع أن يزن فضل القول أو العمل في الصنعة أو المهنة . أما فضل الأخلاق فأكثره غير مكتوب في طرس ولا مرصوف في بناء ولا منجوت في تمثال حتى يزن الوازن فنه ولونه وحقيقته ، بل أكثره وديعة في نفوس الخلطاء أو من ليسوا بخلطاء ولا عشراء إذا كان المرء معروفاً بالذكر عند من لا يعرفه في حياته الخاصة. والخلطاء قد لا يؤدون الأمانة وافية ولا الوديعة غير منتقصة وغير الخلطاء إنما يحكون بالصدى

وكثيراً ما يرشو المغتاب سامعه بالمدح إذا كانت إثارة شره وحقده على من يعرفه أو لا يعرفه تحتاج إلى مدح المغتاب لسامعه الذي يريد إثارة شره ، أو قد يهدد المغتاب سامعه بالذم إذا لم يقبل أن يستثار شره وحقده على ذلك الغائب الذي يغتابه المغتاب، وقلما يجرؤ أحد الناس إذا سمع ذماً لغائب أو شبه غائب على رفض الذم وتزكية المذموم خشية أن يعد الناس مدحه للمذموم مشاركة له في نقصه الذي ذم به ، فترى أكثر الناس إلا من ندر إذا اغتاب إنسان إنساناً يسرعون إلى إظهار تصديقهم قوله خشية أن يعدوا مشاركين للغائب المذموم إذا كذبوا مغتابه. وهم يسرعون إلى هذا التصديق وإن كانوا من أهل الخير، وإن كانوا من أبعد الناس عن التلذذ بالحقد من غير سبب للحقد ، وإنما يصدقون المغتاب وقاية لأنفسهم، وكل إنسان به شيء قليل أو كثير من الجبن أو الخوف، أو الحذر فيخاف إذا لم يعاون المغتاب على اغتياب الغائب — وأقل المعاونة المعاونة بالسكوت والإنصات والابتسام والإقبال — أن يعد مشاركاً للغائب فيما اغتيب به. وإذا كان هذا شأن أهل الخير فما ظنك بغيرهم من الناس وأكثر الناس يجدون في أنفسهم لذة ومسرة — إما قليلة تكاد تكون خفية غير ملحوظة وإما لذة عظيمة — إذا سمعوا ذماً لإنسان . وأقل أسباب هذه اللذة وأظهرها أن الذم لم يقع بهم بل بغيرهم فيسرون لنجاتهم من الذم بوقوع الذم بغيرهم كما يسرون من أجل أن ذم غيرهم بالحق أو بالباطل إذا سمعوه أو قالوه يزيدهم عظمة عند أنفسهم فيشعرون أنهم صاروا أعظم من المذموم حتى ولو كان ذمه بالباطل، فالذم كالجمر كل يريد أن يلقيه على غيره . فإذا أحس السامع في نفسه أنه أحق بذلك الذم الذي اغتاب به المغتاب غائباً أسرع في معاونة المغتاب على الغيبة كيلا يفطن المغتاب وكيلا يلحظ من عينيه أنه أحق بالذم من الغائب . ومن أجل ذلك يكون الاغتياب أشيع ما يكون بين أهل النقص الحقيقيين بالذم الذين يخفون من أسرار أنفسهم ما هو حقيق بالذم فيرتعدون خوفاً من ظهوره فيندفعون إلى الغيبة من الخوف، كما قد يقبل الأرنب من خوف إلى الثعبان ، أو كما قد يقبل الهر من خوف إلى الأسد . وهم قد يندفعون في نقصهم ويهونون على أنفسهم النقص بذلك. وقد يصرح المغتاب للسامع بالتهديد ولا يكتفي بالتلميح في تهديده فيقول: لا يدافع عن أهل الرذيلة إلا من كان من أهل الرذيلة، فيسرع السامع إلى تصديق المغتاب ، وربما صار من خوفه أشد شرها في الاغتياب من ذلك المغتاب الذي هدده إذا لم يقبل منه تركه .

وقد تجتمع فى نفس السامع أسباب الاغتياب كلها، بل إن الخوف من مشاركة الغائب المهجو فى الذم قد يجعله السامع عذراً لنفسه إذا وجد لذة فى الشر والانتقاص ، وإيقاع الأذى بغيره بمعاونة المغتاب ؛ فبعد أن يكون قبوله الاغتياب والمعاونة عليه خوفاً يصبح القبول وتصبح المعاونة لذة فى إيقاع الأذى وتعاظماً بانتقاص غيره ، فترى أن أقل أسباب قبول الغيبة إثماً وأطهرها شكلاً يسوق النفس إلى أكثر أسباب قبول الاغتياب والمعاونة عليه إثماً ، وإلى أخبثها أصلاً فى النفس . وهذا من عجائب النفس الإنسانية التى فى أول أمرها قد تتحرج من أقلّ الخبث والشر؛ فإذا قبلته مُكرَهةً كارهة قد لا تتحرج فى أن تجد لذة فى أشد الشر والخبث . والخوف من مشاركة المذموم فى الذم سنة عامة قد تتخذ شكلاً مضحكاً . فقد ترى جماعة من الناس يتحدثون فى مودة وصفاء ثم يرون على قرب منهم اثنين يتضاحكان، وقد يكون تضاحكهما لأمر لا صلة له بهم ، ولعل ذكرهم لم يجر على لسان المتضاحكَيْن ، ولكن شدة الذعر من السخر والذم قد توهم تلك الجماعة التى تتحدث فى مودة وصفاء أن تضاحك المتضاحكين منهم أو من أحدهم فيبتسم كل منهم كى يوهم أصحابه وجلساءه أنه واثق فى سريرة نفسه أنه غير مقصود بضحك المتضاحكين . وقد يكون ابتسامه مخلوطاً فى شكله بمظاهر الخوف والارتياب فيتخذ ابتسامه شكلا مضحكا حقاً . أما إذا استطاع أن يخفى ما فى سريرة نفسه من الارتياب والخوف فإنه قد يقنع جلساءه أن تضاحك المتضاحكين على مقربة منهم ليس سخراً به بل بأحدهم وقد ينظر مبتسماً إلى جليس كى يوهم جلساءه أن المتضاحكَين إنما يسخران بهذا الجليس الذى ينظر إليه فهو يتوقى السخر الموهوم بإلصاقه بجليسه كى يقى نفسه من أن يُظَنّ موضوع اغتياب المتضاحكين . وهذه ظاهرة مشاهدة فى الناس وقد قال أحد الأدباء الماكرين :

إذا رأيت إنساناً فى جماعة على مقربة منك وارتبت فى أنه يغتابك فما عليك إلا أن تختار صديقاً أو جليساً يجيد الضحك ثم حدثه حديث فكاهة يثير ضحكه ولا علاقة لحديثك بالإنسان الذى ترتاب فى أنه يغتابك فإذا أكثرتما من الضحك وجعلت تنظر إليه أثناء الحديث والضحك ارتاب ذلك الإنسان أيضاً فى أنك تذكره بسوء . بل قد يذعر بعض جلسائه خشيةَ أن يكون هو المقصود بالضحك فينصرفون عنه ، وقد يبسمون إليك مبتسمين إذا كانوا يعرفونك كى يوهم كل منهم الآخر أنه واثق فى سريرة نفسه أنه ليس مدعاةً للسخر والضحك، وإنما يكون انفضاضهم عن ذلك الإنسان على صوت ضحككما كانفضاض قوم عند سماع صوت انطلاق قذيفة من مدفع غير مُصَبٍّ بما يميت. وهذه الحيلة ليست من مكارم الأخلاق وربما ألجأ إليها الظن المخطئ وربما لا تستطاع إلا بشىء من الصفاقة لا يملكه كل إنسان ولكنها على أى حال من أخلاق الناس ومشاهد الحياة .

والمغتاب الذى لا يستطيع الناس أن يجدوا سبباً لحقده على من يغتابه أكثر المغتابين نجاحاً فى الاغتياب ، ومن أجل ذلك يحاول المغتاب الماكر أن يخفى سبب حقده وكرهه ، وقد يكون السبب بطبعه بعيداً عن الأذهان، وقد يكون المغتاب نفسه غير فاهم سبب حقده الذى يخامر نفسه كل الفهم ، وأخلق بهذا السبب ألا يفهمه الناس إذا كان صاحبه لا يفهمه .

عبد الرحمن شكرى

الفتح الربانى

لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيبانى

يبذل فضيلة المحدث الجليل الشيخ أحمد عبد الرحمن البنا جهداً موفقاً مشكوراً فى إخراج كتابه هذا مع شرحه (بلوغ الأمانى من أسرار الفتح الربانى) ، وقد أخرج حديثاً القسم الثالث من الجزء الحادى عشر من ذلك السفر النفيس . والكتاب غنى عن التعريف فهو دائرة معارف فى الأحاديث الشريفة والسنة المطهرة . فنحث القراء ومحبى السنة على الاشتراك فيه . وهو كالعادة ١٢ قرشاً للجزء من الورق الأبيض و ١٠ قروش للورق الربانى . ويطلب من فضيلة المؤلف بعطفة الرسام رقم ٥ بالغورية بمصر .

كتاب في «الدين الاسلامي»

للأستاذ علي الطنطاوي

كان الأعرابي الجلف الجافي ، يقعد بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم ساعة من زمان يستمع فيها إليه ، فلا يقوم إلا وقد فهم الإسلام وعرفه ، وصار من المبشرين به والداعين إليه . وكان يصحب النبيّ أياماً فلا تنقضي حتى يغدو عالماً ، يبعثه النبي إلى قومه معلماً ومرشداً ، فيعرّفهم الحدود ، ويبيّن لهم الحلال من الحرام ...

كان هذا يوم لم يكن تدوين ، ولم تصنف المصنفات ، ولم تجمع الأحاديث ... وها نحن أولاء عندنا أكثر من مائة ألف كتاب ورسالة في التفسير والحديث والفقه والأصول والتصوف والسيرة والخلاف وكل ما يخطر على بال باحث من المسائل المتصلة بالإسلام ، ولكنا لا نجد فيها كتاباً واحداً لخص الإسلام كله تلخيصاً وافياً ، وعرضه عرضاً واضحاً ، يقرؤه الشاب فيفهم ، فيفهم فيه الدين كله كفهم الوافدين على النبي الدين ، حين دخلوا فيه أفواجاً ...

ولقد أحسست بهذا النقص منذ ابتداء عهدي بالطلب ، وعرضت له في رسائل (في سبيل الإصلاح) التي نشرتها في دمشق (أثر عودتي من مصر سنة ١٩٢٩) . بيد أني لم أعرف خطره إلا أمس ، حين درّست الدين في مدارس العراق ، وشرحت للطلاب مزاياه ، وكشفت لهم عن عظمته ، فكانوا يتشوقون إلى زيادة الاطلاع ، ويرغبون في متابعة الدرس . فيسألونني عن الكتاب الذي يجدون فيه خلاصة الدين ، كما يجدون خلاصة الطبيعة أو الهندسة في كتاب واحد ، فأفكر فيه فلا أجده ، ولا أجد إلا علوماً كثيرة من كلام وفقه وحديث وتفسير فيها آلاف من الكتب ، يعتدها المؤرخون أثمن تراث للعقل البشري وأغناه ، ولكنها أصبحت اليوم بالية الأسلوب ، قديمة الطراز ، كحلية من الذهب ، ما نقص الذهب ولا خاس ، ولكن أنكر الشكل وتغيرت الأذواق ، والصائغ الماهر يحول الحلية من حال إلى حال ... وكنت أخاف أن ينصرف الطلاب عن دراسة الإسلام ، وتموت في نفوسهم الرغبة فيه ، إذا أنا دللتهم عليها وأردتهم على قراءتها . وليت شعري أأقول للطالب الذي لم تدع له دروسه الكثيرة ، إلا بقية من وقت ، آثر أن يشغلها بدراسة الدين عن أن ينفقها في حق نفسه وراحتها ، أأقول له ، إنك لا تفهم الإسلام حتى تقرأ (النسفية) و (السنوسية) وأشباهها وتدخل في كل باب من أبواب الفلسفة الفارغة ... والجدل العقيم ... وتدور مع المذاهب الباطلة والرد عليها ، والآراء الخاطئة ودفعها ، وتحفظ كفر أقوام انقرضوا وانقطع دابرهم ، كل ذلك لتفهم التوحيد الذي جاء به النبي صلى الله عليه واضحاً سهلاً لا فلسفة فيه ولا جدال ... وتقرأ (الطحطاوي) والشرنبلاني أو (الباجوري) أو غيرها من كتب الفروع ، وتملأ الرأس منك فروضاً مستحيلة ، واحتمالات بعيدة ، تتخلل الأحكام ، وتجيء مع قوانين الشريعة ، كل ذلك لتعرف كيف تصلي وتصوم ، وقد كان البدوي يتعلم الصلاة والصيام في ساعة واحدة ويؤديهما من بعدها على وجه الكمال ... وتقرأ (شروح المنار) أو (جمع الجوامع) وتكسر دماغك في كلام هو (والله العظيم) أشبه بالطلاسم والأحاجي منه بالعلم وأسلوبه المبين ، لتفهم أصول الفقه ، والأصول في هذا الدين ثابتة ثبوت الجبال ، واضحة وضوح الشمس ، مستقيمة كخيوط النور لا عوج فيها ولا التواء ، ولا غموض ولا إبهام ... وتقرأ (النخبة) أو (مقدمة ابن الصلاح) لتفهم مصطلح الحديث ، وتقرأ بعد ذلك شيئاً كثيراً ... ثم لا تنجو بعده من أن يتهمك الحشويون بأنك وهابي ، والسلفيون بأنك قبوري[1] ، ولن تعدم من يتبرع بتكفيرك من أجل بحث في كرامات الأولياء ، أو كلام في السفور ، أو رأي في ابن عربي ...

فأين الشاب المشغول بدروسه المتهيّ لقحصبه من هذا الخضم الذي يغرق فيه لو خاضه ؟ أو لا يعذر الشبان إذا لم يقدروا على درس الدين في كتبه ، ولم يجدوا من يفهم عنهم أو يفهمون عنه من علمائه ، فآثروا السلامة ، وابتغوا من العلوم والدراسات ما له كتب مفهومة ، وخلاصات واضحة ؟

أحسست بهذا النقص البين ، فكتبت في وصفه وخطبت مراراً وسألت من توسمت فيه من العلماء سده وإكماله ، فوجدت من (علمائنا) والجمهور منهم لا يحسن شيئاً إلا إقراء الكتب

---

(١) كذا يقولون والقياس الافراد عند النسبة — هذا وليس الغرض إهمال هذه الكتب ، فانها المصادر التي لا بد منها لمن يحب التخصص في علوم الشرع ولكن الكلام على طلاب المدارس

التي كان قرأها على مشايخه من قبل ، وشرحها كما شرحت له ، فإن خرجت به عن الحواشي والشروح ، عاد عامياً لا يكاد يصلح لشيء. ووجدت أكثرهم بعيداً عن الأدب ليس من أهل البيان ، ومنهم من لا يزال يظن (جهلاً) أن الإسلام كره الشعر وحرمه ويحتج بحديث : لأن يمتلئ جوف أحدكم ... ولقد ثبت أن الذي يروونه جزء من الحديث رواية ويل للمصلين[1] . ومن ابتعد عن الأدب ، ولم يتمرس بأساليب البلغاء ، لم يأت منه خير لأن علمه يقتصر عليه ، فلا يقدر على بثه بقلم ولا بلسان ... ووجدت أكثر (علمائنا) يعيش في دنيا أهل القرن التاسع ، ويفكر بعقولهم . ومنهم من شغله منصب يحرص عليه ، أو مال يبالغ في جمعه وادخاره؛ ومنهم من أخلد إلى الراحة، وابتغى الجاه والغنى من شر الطرق وأقصرها ، فخرق على العامة وأظهر الورع فيهم والتواجد . فإن قلت له : صباح الخير ، أو سألته عن مسألة ... أجابك بـ (لا إله إلا الله) أو بالحوقلة والاستغفار ، يقلب سبحته في يده ، ويغمض عينيه ، ويصمت حيناً خاشعاً مراقباً ، ثم يصرخ في وجهك صرخة من أفلت من (الصفورية) أو (العباسية) . ورأيت من هؤلاء من العجائب ما لو قصصته لخفت أن أكذب فيه لغرابته ... فأيست منهم أو كدت ، ودفعني هذا اليأس إلى محاولة الكتابة في هذا الموضوع ، على قصر يدي فيه ، وقلة بضاعتي ، وأعددت (في نفسي) أكثر مباحثه ، ثم رأيت أن أفتح هذا الباب في الرسالة (بإذن الأستاذ الزيات) لكل من أراد أن يكتب فيه وارتضى الأستاذ ما كتب ، ورجوت أن يقبل على الكتابة العلماء والباحثون ، ينشئ كل منهم فصلاً من الكتاب ينشر اليوم في الرسالة . ثم إذا اجتمعت الفصول ونقحها أصحابها وأطالوا النظر فيها أودعت صفحات كتاب يبقى إن شاء الله وينتفع به الناس ... ولعل الذي يمنع تحقيق هذا الرجاء أن أكثر من يكتب من الشباب رعاك الأسلوب المشرق المبين لا اطلاع له على كتب الدين ، ولا إلمام له بها . وأكثر العلماء (كما قدمت القول) غير مشتغلين بالكتابة . وعلاج ذلك أن يشترك في البحث عالم مطلع ، وأديب كاتب ، فيمشي الشاب الذي يحسن الكتابة إلى عالم يدله على المراجع ، ويبين له الأحكام ، وينشئ هو الفصل بعد ذلك ، فيجتمع له فوائد، منها أن البحث قد كتب وتم، ومنها أنه اطلع على نواح من العلم جديدة ، ومنها أنه ألف هذه الكتب القديمة وعرف أسلوبها . . .

ولنأت الآن إلى الموضوعات التي ينبغي أن يشتمل عليها الكتاب ، ما هي وما حدودها . ولست أحب أن أحددها وحدي بل أبين المراد إجمالاً . والمراد أن يلخص الدين الإسلامي في كتاب يضم بين دفتيه الإسلام الذي جاء به النبي محمد خالياً من الحشو والزيادات والبدع والخلافات ، يقرؤه الشاب المسلم الذي لا يعرف الدين ، فلا يحتاج بعده إلى شيء، ويقرؤه العاميّ فيفهم منه دينه، ويقرؤه الغربي (مترجماً) فيحصل له عن الإسلام فكرة واضحة صحيحة

وإذا كان المسلم الكامل هو الذي أخذ الاسلام علماً وعملاً واعتقاداً ؛ وإذا كان حديث جبريل المعروف قد قسم الدين إلى إيمان وإسلام وإحسان ، وشرح الأول بأنه التصديق الجازم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره ، وشرح الثاني بأنه النطق بالشهادة ، وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت ، وفسر الإحسان بأنه عبادتك الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك ، فإن من المستطاع تحديد موضوعات كتاب « الدين الإسلامي » بأنها :

الإيمان وما يتصل به — الإيمان بالله (التوحيد) — الإيمان بالملائكة والجن والشياطين — الإيمان بالكتب — القرآن ، وما يتصل به من نزول ، وجمع وإعجاز — الرسالة والرسل — حياة النبي محمد ورسالته — اليوم الآخر — القضاء والقدر — الصلاة : حكمتها وفائدتها وكيفيتها وبيان المتفق عليه من أحكامها — الصوم — الزكاة — الحج — الأخلاق الشخصية في الإسلام — الأخلاق الاجتماعية في الإسلام — الإسلام من الناحية التشريعية — الإسلام من الناحية السياسية — فكرة عامة عن العلوم الإسلامية — المذاهب الأربعة والكلام عليها الخ ...

هذه هي المباحث المهمة ، وأهم منها أن تكتب بأسلوب لا هو بالأسلوب العلمي الجامد ، ولا هو بالأسلوب القصصي الخيالي ، وأن تكون تعليمية قبل أن تكون علمية ، وأن ترتفع عن كل خلاف أحدثه المتأخرون ، وتعود إلى المنبع الصافي الذي استقى منه الصدر الأول خير القرون .

هذا وفي الموضوع مجال للايضاح والنقد والتعديل ، ولعلّ صفحات الرسالة لا تخلو من ذلك .

« دمشق » — علي الطنطاوي

(١) أنظر كتاب (الاجابة) الذي نشره أخي سعيد الأفغاني وحققه وعلق عليه (المكتبة الهاشمية بدمشق)

مدينة قونية

(يا حضرة مولانا)

للدكتور عبد الوهاب عزام

[بقية ما نشر في العدد الماضي]

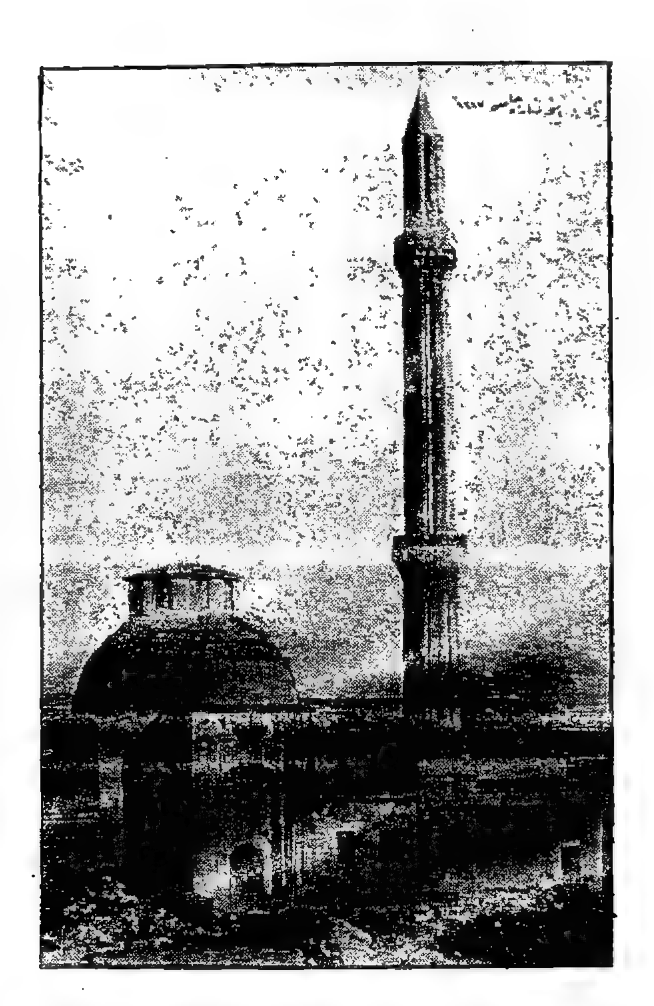
من عجائب الآثار وبدائع الصنعة مدرسة إينجه منارة (مدرسة المنارة اللطيفة) وأنا أعفى القارئ من وصفها وأكتفي بما تنطق به الصورتان المثبتتان هنا

ولا يسعنا أن نغفل جامع صاحب عطا (صاحب آتا) بناه أحد وزراء السلاجقة الكبار فخر الدين علي بن الحسين بن أبي بكر المتوفى سنة ٦٨٤ ، وقبره في إيوان داخل المسجد ومعه خمسة قبور . وتدل الكتابة على مدخل الإيوان أنه بنى في مفتتح المحرم سنة ٦٨٢

وفي أطراف المدينة على مقربة من المزارع جامع صغير فيه قبر العالم الكبير صدر الدين القونوي المتوفى سنة ٦٧١ ؛ وكان من الأساتيذ في علوم الدين والتصوف . وكان واسطة بين الشيخ الأكبر محيي الدين ومولانا جلال الدين . تزوج محيي الدين أمه ورباه وعنه أخذ جلال الدين فيما يقال . وله مؤلفات في التفسير والحديث والتصوف

ذهبت إليه وحيداً قبيل الغروب فما زلت أسأل حتى اهتديت إليه فألفيته مقفلاً فسرت قليلاً وعدت فإذا رجلان جالسان بجانب الباب أحدهما ضرير . فلما اقترب المغرب قلت : ألا يفتح المسجد ؟ ففتحا الباب فدخلنا إلى مسجد صغير عطل من جمال الصنعة والزينة فتقدم أحد الرجلين فأتى قبته ووضع العمامة فعرفت أنه الإمام، وتقدم الآخر وعلى رأسه (كاسكت) فأداره وأقام الصلاة فصلينا المغرب وحدنا . وسألت عن ضريح صدر الدين فأشير إلى نافذة تطل إلى حديقة صغيرة فنظرت فإذا قبر بجانب النافذة فوقه عريش من الكرم وبجانبه أشجار

ولم تقر نفسي دون أن أرى مثوى الصوفي العجيب الغريب الذي اتصل بجلال الدين فحوله من الدرس إلى الخلوة ، ومن أستاذ درس إلى مريد طريقة ، الرجل الذي أثار حوله الظنون والأيدي حتى قتل في إحدى الثورات عليه ، فما زال جلال الدين يشيد بذكره ويلهج به في شعره حتى سمى ديوانه الكبير باسمه . ذلكم شمس تبريزي (شمس الدين محمد بن علي التبريزي) الذي يقول فيه جلال وما أكثر ما قال فيه :



مدرسة إينجه منارة (المنارة اللطيفة)

نه من تنها سرايم شمس دين وشمس دين
مى سرايد عندليب أز باغ و كبك أز كوهسار
باسمه الوُرْق والعنادل تشدو   لست وحدى أنوح: (شمس الدين)

عزمت على زيارته فقيل إن المزار مغلق لا يفتح لأحد . فاكتفيت بمشاهدة البناء على بعد : ثم لجّ بي التطلع فسرت إليه

ليلاً فجارت بي طرق متعرجة ضيقة فرجعت آسفاً وأعجلني السفر البكر عن المسير صبحاً ، وإن قدر لي الرجوع إلى قونية كانت زيارة شمس الدين أول ما أفعل

— ٤ —

وقونية مدينة كبيرة في ولاية واسعة تسمى باسمها ، وهي على حافة صحراء كبيرة يمر بها نهر صغير ينتهي إلى بحيرة غربيها. وهي على ٤٥٠ كيلاً من استانبول إلى الجنوب الشرق منها ويتصل بها سهل خصب جداً تكثر خيراته إذا أصابه مطر جود ، لأن نهرها وينابيعها لا تفي بإروائها. وصناعة النسيج بها رائجة

وهي كثيرة المساجد بها زهاء ١٥٠ مسجداً و ٥٠ جامعاً . وأهلها معروفون بالدين والتقوى

وبها كثير من آثار السلجوقيين إذ كانت حاضرة دولتهم في آسيا الصغرى

وهي مدينة قديمة عرفت أيام اليونان والرومان . ومن الأساطير التي تروى أن تنيناً سلط عليها فكان يبلع النساء والصبايا حتى قتله برسيوس بن جوبيتر (المشترى) فوضع أهلها على أحد أبوابها تمثالاً لهذا البطل الذي نجاهم من التنين فسميت المدينة ايكونيوم أخذاً من كلمة ايقون أي الصنم أو التمثال

إذا وقف الإنسان على ربوة علاء الدين رأى أمامه ميداناً كبيراً فيه أنصاب حديثة للجمهورية التركية، وأبنية ومساجد، وينتهي النظر إلى قبة مولانا جلال الدين تبدو من وراء الأبنية وبها شوارع مديدة واسعة . منها الجادة التي تمتد من الربوة إلى المحطة وفيها تمثال عظيم للغازي ويرجى لها مستقبل عظيم. ولا ريب أنها كانت أيام السلاجقة أعظم عمراناً وأكثر سكاناً

وقد زارها ابن بطوطة بعد زوال دولة السلاجقة واستيلاء أمراء بني قرمان عليها فقال :-

« مدينة عظيمة حسنة العمارة كثيرة المياه والأنهار والبساتين والفواكه وبها المشمش المسمى بقمر الدين — وقد تقدم ذكره — ويحمل منها أيضاً إلى ديار مصر والشام . وشوارعها متسعة جداً وأسواقها بديعة الترتيب . وأهل كل صناعة على حدة . ويقال إن هذه المدينة من بناء الاسكندر ، وهي من بلاد السلطان بدر الدين بن قرمان وقد تغلب عليها صاحب العراق في بعض



باب مدرسة اينجه منارة

الأوقات لقربها من بلاده التي بهذا الإقليم

نزلنا منها بزاوية قاضيها ويعرف بابن قلم شاه، وهو من الفتيان وزاويته من أعظم الزوايا . وله طائفة كبيرة من التلاميذ ولهم في الفتوة سند يتصل إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام . ولباسها عندهم السراويل كما تلبس الصوفية الخرقة

وكان صنيع هذا القاضى فى إكرامنا وضيافتنا أعظم من صنيع من قبله وأجل ، وبعث ولده عوضاً عنه لدخول الحمّام معنا .

وبهذه المدينة تربة الشيخ الإمام الصالح القطب جلال الدين المعروف بمولانا وكان كبير القدر . وبأرض الروم طائفة ينتمون إليه ويعرفون باسمه فيقال لهم الجلالية كما تعرف الأحمدية بالعراق ، والحيدرية بخراسان . وعلى تربتـه زاوية عظيمة فيها الطعام للوارد والصادر »

ولا أنس مسيرى فى قونية ليلة الوداع وانتحائى منتدى قرب المحطة وجلوسى تحت أشجار هناك إلى نافورة كأن وسوستها فى صمت المكان مناجاة أو حديث النفس

وبينا يجول الفكر فى مشاهد قونية وتاريخها ، ويطير بينى وبين الوطن والأهل فى لحات ، انبعث المذياع مبلغاً رسالة مصر كأنها جواب النجوى . ولست أدرى أعرف صاحب المنتدى أنى مصرى فآنسنى، أو كان اتفاقاً أجاب حديث الضمير. وكثيراً ما سمعت فى استنبول وقونيـة صوت مصر ، لا سيا حين تلاوة القرآن

عبد الوهاب عزام

من تاريخنا النسوى

عائشة والسياسة (*)

للأستاذ سعيد الأفغانى

لم يتح للسيدة عائشة أن يكون لهـا أدنى أثر فى السياسة على عهد الخليفتين العظيمين أبى بكر وعمر ؛ بل كان شأنها شأن بقية أمهات المؤمنين أزواج النبى صلى الله عليه وسلم : يُستفتَيْن فى المسائل من أمور الدين ، وخاصة فيما لا يعانيه إلا النساء . فبقين بعد وفاة الرسول مثابة لرواد الفقه وحملة الشريعة ، وهذا من حكمة الله ورحمته بهذه الأمة ، إذ جعل من أزواج صاحب الرسالة من تعيد سيرته المطهرة خمسين سنة تنشر تفاصيلها للناس ، كأن الوحى لم ينقطع ، وكأنهم من أنواره فى شمس لا يلم بها أفول ولا تحجبها ظلمة . وليس كل السنة يتسنى للرجال معرفتها ، ولولا ما نشرن منها لضاع علم كثير : فكان أبو بكر وعمر وعثمان وغيرهم من كبار الصحابة ، كثيراً ما يسألونهن فى دقاق المسائل وجلائلها ، وعلى هذا اقتصر عمل عائشة لهذا العهد . وكان فى ذكائها (رحمها الله) وفى علمها ما جعلها مقدمة على عامة أزواج النبى (ص) : يعرفن ذلك من حقها ، ويرجعن أمورهن إليها . . . وكان الناس حين يفزعون إلى أزواج النبى لا يبدؤون إلا بها . . . فكأنها فيهن مكان الزعيم . . .

* * *

فلما كان عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان ، سارت السيدة فى الشطر الأول من خلافته (سيرتها على زمن صاحبيه) : تفتى وتحدث وتنشر العلم.. لكنه لم يكد لين عثمان يجرّئ الناس عليه، ولم تكد القالة تفشو نافذة على بعض تصرفاته ، حتى انقلب الأمر ، ورأينا السيدة عائشة تقود حركة المعارضة، ورأينا عثمان يتبرم بموقفها كل التبرم ولم تزل السيدة توغل فى تدخلها السياسى حتى أدى إلى ما لم تكن تحب ، وحتى خرج الأمر من يدها فى النهاية إلى يد الغوغاء ؛ فكانت أشد الناس ندماً على ما قدّمت . . .

كان ممـا أخذ الناس على عثمان عزله من ولاية الكوفة القائد المغوار صاحب رسول الله سعد بن أبى وقاص، وتوليته الوليد ابن عقبة أخاه من الرضاعة . فلما حضر وفد أهل الكوفة متذمرين إلى عثمان من عاملهم الجديد انتهرهم وأوعدهم . . . فلجؤوا إلى أم المؤمنين عائشة الصديقة مستجيرين . وأصبح عثمان ، فصلى بالناس الفجر فى مسجد رسول الله (ص) ، فسمع من حجرة عائشة صوتاً وكلاماً فيه بعض الغلظة . فقال : « أما يجد مُرّاق أهل العراق وفساقهم ملجأً إلا بيت عائشة ؟ ! » . فسمعت عائشة فغضبت . ورفعت نعل رسول الله صلى عليه وسلم وقالت : « تركت سنة رسول الله صاحب هذه النعل » . فتسامع الناس فجاؤوا حتى ملؤوا المسجد . فمن قائل : « أحسنت » ؛ ومن قائل : « ما للنساء ولهذا » حتى تحاصبوا وتضاربوا بالنعال . ودخل رهط من أصحاب رسول الله على عثمان فقالوا له : « اتق الله ولا تعطل الحد ، واعزل أخاك عنهم » . فعزله عنهم ! وهكذا استطاعت السيدة بما لها من

(*) الأغانى ٥ — ١٣٠ (طبع دار الكتب)

المكانة والذكاء أن تهيء لمارضتها نجاحاً باهراً . فغيرت هـذا العامل على رغم الخليفة. وخير ما نطلقه عليها أنها كانت : «زعيمة المعارضة » — على اصطلاح هـذا العصر — مدة الخليفتين عثمان وعلى . . .

ثم جاءت شكوى المصريين من عاملهم ابن أبي سرح على نحو شكوى أهل الكوفة من عاملهم . وقامت السيدة في ذلك مقاماً حميداً كما قام غيرها من مشيخة الصحابة مثل على وغيره . إلا أن ابن أبي سرح لم يعمل بكتاب عثمان[1]، وقتل أحد الذين كانوا شكوه ؛ فرجع المصريون إلى المدينة ، وشكوا إلى أصحاب النبي وأزواجه ما صنع ابن أبي سرح . فقام طلحة ؛ فكلم عثمان بكلام شديد . وأرسلت إليه عائشة : « قد تقدمت إليك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسألوك عزل هذا الرجل ؛ فأبيت أن تعزله ؛ فهذا قد قتل رجلاً منهم فأنصفهم من عاملك . . . »

ولما رجع المصريون بكتاب عثمان المزور ، وضج الناس ، كانت عائشة تذمه كثيراً ، وكانت هي نفسها تقول (فيما بعد) : « إنا نقمنا عليه ضربه بالسوط ، وموقع السحابة ، وإمرة سعيد والوليد . فقضبنا لكم من سوط عثمان ... »

ومواقف عائشة هذه من عمال عثمان وإرغامها إياه على تغييرهم، قد آذته كثيراً حتى خرج مرة عن وقاره واعتداله ، وما يليق به من الاحتمال والحلم . قال صاحب (البدء والتاريخ) :

« كان أشد الناس على عثمان طلحة والزبير ومحمد بن أبي بكر وعائشة . وخذله المهاجرون والأنصار ، وتكلمت عائشة في أمره وأطلعت شعرة من شعرات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونعله وثيابه وقالت : « ما أسرع ما نسيتم سنة نبيكم ! » فقال عثمان في آل أبي قحافة أسرة عائشة ما قال ، وغضب حتى ما كان يدري ما يقول »[2] هـ .

هذا ما كان من آثارها ، ودع لنفسك أن تقدر ما يبلغ مثل ذلك من نفوس الناس ، وهم حينئذ أولو الحمية للاسلام ، وأقرب الناس عهداً بالرسول وصاحبيه — كم يبلغ من نفوسهم الوجد على عثمان حين فرّط حتى بلغ السيل الزبى ، وحتى تنبر عليه امرأة — ثم لا تكون تلك المرأة إلا أم المؤمنين عائشة : ترفع عليه في المسجد صوتها وتبرز للمسلمين نعل الرسول مرة ، وشعره مرة ، وثوبه مرة ، تنصبه في حجرتها وتقول للداخلين عليها : « هذا ثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبل ، وقد أبلى عثمان سنته » . وكان عثمان مرة يخطب فدلّت عائشة قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقالت : « يا معشر المسلمين ! هذا جلباب رسول الله لم يبل ، وقد أبلى عثمان سنته » . فقال عثمان : « رب اصرف عني كيدهن ، إن كيدهن عظيم ! »[1] .

إن الأثر الذي أثرته في قلوب الناس لجد بليغ . ولست أغلو إن قلت : إن هـذا التغير في النفوس يكمن ؛ ثم هو لا يزداد على الأيام إلا شدة . وهذا يفسر لنا بجلاء سبب تقاعس أهل المدينة عن نصرة عثمان حين حزبه الأمر واغتاله أهل الأمصار .

وزعم بعض الرواة أنها أول من سمته (نعثلاً) و (نعثل) اسم يهودي أو نصراني طويل اللحية، لقب به عثمان تشبيهاً له به. وأنها كانت تقول : «إقتلوا نعثلاً . قتل الله نعثلاً» . وكان الناس يسبون عثمان حول فسطاط عائشة بمكة ، وعثمان يمر ، ولم ترث السيدة له ولم تغير شيئاً .

ولقد تضافرت روايات من طرق مختلفة على سعي عائشة على عثمان . ولما آلت الخلافة إلى علي ونهضت هي تطالب بدمه . قال لها عمار : «أنت بالأمس تحرضين عليه واليوم تبكين عليه !» وقال لها ابن أم كلاب : « والله إن أول من أمال حرفه لأنت ، ولقد كنت تقولين : اقتلوا نعثلاً فقد كفر » .

وإذا علمت أن أشد الناس على عثمان — وهو طلحة — يرجو أن تكون إليه الخلافة بعده ، وأن طلحة ابن عم أبي بكر (رحمه الله) ، وأمعنت في الحوادث التي حفت بهذا العهد، وجالت بنفسك الخواطر، وجدت في رواية الطبري الآتية (وهي مصنوعة باتقان) حل المسألة فاسترحت إليه :

« خرج ابن عباس إلى موسم الحج بكتاب عثمان ، فمر بعائشة في (الصُلصُل) فقالت : (يابن عباس أنشدك الله فقد أعطيت

(١) الحادثة مشهورة ، وقد تركنا من التفاصيل كل ما ليس له علاقة صميمة بموضوعنا . فليرجع القارئ إلى كتب التاريخ في كل ما يرد به من إشارات في هذا المقال . (٢) ٥ : ٢٠٥

(١) اليعقوبي ٢ : ٢٠٣

لساناً إزباً (نشيطاً) أن تخذّل عن هذا الرجل وأن تشكك فيه الناس ، فقد بانت لهم بصائرهم وأنهجت ورفعت لهم المنار ، وتحلبوا من البلدان لأمر قد حُمّ . وقد رأيت طلحة بن عبيد الله قد اتخذ على بيوت الأموال والخزائن المفاتيح ، فإن يلِ يسرْ بسيرة ابن عمه أبي بكر) . فقال ابن عباس : (يا أمه ، لو حدث بالرجل (يعني عثمان) حدث ، ما فزع الناس إلا إلى صاحبنا (يعني علياً) . فقالت عائشة وقد يئست منه : (إيها عنك ، لست أريد مكابرتك ومجادلتك) » . اهـ

وعلى هذا تكون السيدة لم تكتف بزعزعة مركز عثمان ، بل تطمح إلى فرض رأيها في تنصيب الخلفاء أيضاً

وزعم ابن أبي الحديد أن عائشة لما بلغها قتل عثمان قالت : « بعداً لنعثل وسحقاً ! أبعده الله ، ذلك بما قدمت يداه » وكانت تطمع أن يكون الأمر إلى طلحة وتقول : « إيه ذا الإصبع (تعني طلحة لأن إصبعه شلاء) إيه أبا شبل ، إيه يا ابن عم ! لكأني أنظر إلى إصبعه وهو يبايع ، حثوا الإبل ، لله أبوك ، أما إنهم وجدوا طلحة كفواً ...) ولما بلغها بيعة علي قالت : « تعسوا ، تعسوا ، لا يردون الأمر في تيم (قومها وقوم طلحة) أبداً ... » ثم أمرت برد ركابها إلى مكة وتقول : « قتلوا ابن عفان مظلوماً » فقال لها قيس بن أبي حازم : « يا أم المؤمنين ألم أسمعك آنفاً تقولين : أبعده الله ؟ وقد رأيتك قبلُ أشد الناس عليه وأقبحهم رأياً فيه ! » فقالت : « لقد كان ذلك ، ولكني نظرت في أمره وأمرهم فرأيتهم استتابوه ، حتى إذا تركوه كالفضة البيضاء أتوه صائماً في شهر حرام فقتلوه[1] » اهـ

(١) شرح نهج البلاغة ٢ : ٧٦

وهي رواية أسخف من التي تسربت إلى الطبري رحمه الله .

وهذا موضوع لفق له بعض الناس من الأخبار ما يرضي أهواءهم على ما نرى اليوم من عمل الأحزاب السياسية . بل إن بعضهم كان يتعبّد بوضع الروايات التي تنصر صاحبه وتدين خصمه . وما نسب إلى السيدة — في رواية ابن أبي الحديد خاصة — لا يصدر عن الأطفال ، بله من كان في مثل عقل السيدة ودينها وحصافتها

سعيد الأفغاني

د . هـ . لورنس

للأستاذ عبد الحميد حمدي

٢ – ترجمة حياته

كان الأبوان على طرفي نقيض . ولقد كان لذلك كل الأثر على حياة لورنس الأولى وبعضه على الجزء الثاني منها ، فضلاً عن أن هذا الاختلاف هو الذي طبع أولى كتبه بطابع خاص

فبينما كان الأب لا يكاد يجيد القراءة والكتابة إذا بالأم وقد نالت حظاً وافراً من التعليم . وبينما كان الأب يعمل كعامل بسيط في أحد المناجم إذا بالأم تنحدر من سلالة أسرة عريقة في المجد والنبل . ولكن كان الأب وسيم الشكل تبدو عليه كل أمارات الرجولة . يفخر دائماً أن الموسى لم تمس لحيته في يوم من الأيام . وكان هذا مما جذب الأم وأوقعها في حب الأب برغم ما بين طبقتيهما من فوارق. وكان كل منهما يرى في هذه الزيجة ما لا يراه الآخر ، فكانت للأب وسيلة حصل بها على زوجة شابة فتانة . أما الأم فكانت ترى فيها سبباً في زجها في بيئة لم تتعودها أو تألفها طول حياتها. وكانت نظرتاهما إلى مستقبل أولادهما أبعد ما تكون عن الاتفاق، فاقترح الأب أن يذهب الأولاد إلى العمل في المناجم بينما تخدم البنات في البيوت، وهذا ما حاربته الأم بكل قواها ، لأنها كانت تربأ أن يعيش الأولاد عيشة أبيهم أو أن تحيا البنات حياة أمهن البائسة

ظل هذا النضال قائماً بين الأب والأم حتى أتت الأطفال فأولتهم الأم كل عنايتها وصاروا سلوتها الوحيدة فعاشت لهم ومن أجلهم . أما الأب فقد شعر أن عاطفة زوجته كانت منصبة على الأطفال دونه ، فصار لا يرتاح إلى البقاء طويلاً في المنزل ، وأصبح يفضل عليه المقاهي والحانات حيث يجتمع بمن هم على شاكلته ومن يفهمهم ويفهمونه حتى أتى الوقت الذي صارت له فيه الحانة منزلاً ثانياً . كانت زوجته تعد له طعامه وتنتظر الساعات الطوال حتى يحضر قبيل طلوع الفجر وهو ثمل لا يكاد يعي كلمة مما يقول ، حتى إذا عاتبته أو أنبته بكلمة أو عبارة انقلب وحشاً ضارياً وعاملها بمنتهى القسوة حتى إنه لم يتورع مرة أن قذفها بأحد الأدراج فشج رأسها

كان « أرنست » أول أطفالها وقد صوره لورنس صورة ناطقة في روايته « الأبناء والمحبون » تحت اسم ويليام . كان متفوقاً على كل إخوانه في المدرسة وكان لا يضيع دقيقة من وقته ، فكان يدرس اللغات في بعض المدارس الليلية في أوقات فراغه ، وبهذه الطريقة حصل على وظيفة رفيعة في إحدى شركات الملاحة بلندن . وكان المستقبل يبدو أمامه زاهراً ، حتى عاجلته المنية وهو لا يزال في العقد الثاني من عمره، فكان موته ضربة قاضية على قلب الأم، حتى كانت ما تفتأ تكرر مقدار شوقها إلى ذلك اليوم الذي تموت فيه حتى تقابل أرنست

بعد أرنست أتت إميلي ثم أدا، وأخيراً دافيد هربرت لورنس في ١١ سبتمبر سنة ١٨٨٥ . وكان في طفولته لا يميل إلى الألعاب التي كان يغرم بها من هم في سنه لأنها كانت من ابتكار غيره ، وكان يفضل عليها الألعاب التي يبتكرها هو ، لأنه ما كان يكره شيئاً قدر كراهيته للتقليد . ولما بلغ السادسة عشرة تعرف إلى عائلة تشمبرز حيث قابل حبيبته الأولى التي وصفها في كتابه « الأبناء والمحبون » تحت اسم ميريام . جذبته الفتاة بعينيها السليتين الواسعتين ، وشعرها الأسود المموج ، وميلها إلى الرزانة والجد على خلاف بنات حيها ، فضلاً عن أنها كانت توليه أذناً صاغية عندما يتكلم معها عن آرائه الغريبة . لذلك كانت زياراته لبيت حبيبته تزداد يوماً بعد يوم لدرجة أقلقت بال الأم وأقضت مضجعها حتى إنها لم تتمالك نفسها ذات يوم أن قالت له في تهكم وغيظ : إن الأولى به أن يجمع ملابسه ليقيم مع حبيبته دواماً .

وعلى رغم أن لورنس لم يعترف لحبيبته بحبه لها في صراحة إلا أنه كثيراً ما كان يردد نظريته التي تقول: إن كل عظيم خلقته امرأة؛ وأنه كان يرى فيها المرأة التي سوف تخلق عظمته . ولكن كان لورنس حساس القلب إلى أقصى درجات الحساسية لم يفته ما عانته الأم المسكينة من زوجها القاسي فتعلق قلبه بأمه وفاض بحبها ، وعلى العكس من ذلك كان شعوره تجاه أبيه . وقد بادلته أمه حباً بحب حتى تعوض ما فاتها من حب زوجها . ولقد كان هذا الحب

هو علة لورنس الأولى وداؤه الذى ذاق من أجله الأمرين ، ولكنه فى الوقت نفسه كان سبباً فى توجيه تفكيره إلى درس موضوع لم يسبقه إليه أحد. كان لورنس يشعر فى قلبه بحبين ينازع أحدهما الآخر ويعمل على استئصاله ، وكان كل منهما من القوة بحيث بات لورنس ضحيتهما ردحاً من الزمن . فهو يحب أمه ، وفى الوقت نفسه يحب ميريام . ولما كان حبه لأمه هو أول حب طرق قلبه فقد كانت حاجته شديدة إلى امرأة تحبه حباً قوياً جارفاً يخلصه من الأغلال التى كان يرسف فيها ، ولكن للأسف كان حب ميريام من ذلك النوع الروحى مما كان سبباً فى تغلب الأم فى النهاية.

وكانت ميريام قد أرسلت خمساً من قصائده إلى أحد الناشرين فنشرها له، وشجعه هذا على أن يرسل إليه أولى رواياته «الطاووس الأبيض» وقد ظهرت الرواية فى يناير سنة ١٩١١ أى بعد وفاة أمه بشهر واحد .

وبموت أمه وفشل حبه ينتهى الجزء الأول من حياة لورنس

وفى أحد أيام ابريل من عام ١٩١٢ قصد لورنس إلى منزل الأستاذ أرنست ويكلى كى يتوسط له لدى إحدى الجامعات الألمانية بغية الحصول على إحدى وظائف التدريس بها . وفى هذه المقابلة الأولى وقع لورنس فى حب زوجة الأستاذ الألمانية. ولدهشته شعر أنها قد بادلته حباً بحب فكتب إليها يبثها غرامه ويطلب منها أن تطلع زوجها على ما بينهما فلم تتردد أن تفعل ذلك برغم شدة تعلق زوجها بها وبرغم أنها قد أنجبت منه ثلاثة أطفال

سافرت فريدا بعد ذلك مع لورنس إلى متز حيث قابل لورنس والدها البارون فون رتشتوفن حاكم الألزاس واللورين بعد الحرب البروسية ، وكانت مقابلة جافة بين الأب الأرستقراطى وبين لورنس الذى ينحدر من طبقة الدهماء . بعد ذلك سافر لورنس وحده إلى أرض الرين. ثم قابلته هى فى ميونيخ، وهناك تحت سفح جبال الألب وعلى ضفاف نهر الإيزر بدآ حياتهما معاً . ومن هناك ذهبا إلى بحيرة جاردا حيث نقح روايته « الأبناء والمحبون » ثم أرسلها إلى أحد الناشرين فردها هذا إليه ثانية بحجة أنها أقذر كتاب وقعت عين الناشر عليه . ومن غريب الأمر أن الرواية نفسها نالت تقريظ الكتّاب بعد نشرها وأجمعوا على أنها من أروع ما كتب فى الأدب الإنجليزى . وفى هذا المكان كتب « الشفق فى إيطاليا » وكذلك مجموعة من أشهر قصائده

وعادا إلى لندن دون أن يمكثا بها طويلاً . فذهبا إلى باڤاريا حيث كتب لورنس قصة « الضابط البروسى » التى تنبأ فيها بالحرب العظمى مع أنه كتبها عام ١٩١٣

وفى الشتاء التالى ذهبا إلى إيطاليا حيث كتب روايته « قوس قزح » وأرسلها إلى جارنت — أحد الناشرين — فلم تصادف هوى فى نفسه . فكان يأس لورنس لا يوصف ، لأنه كان يعتقد أنه إنما يحاول أن يعلم الناس كيف يعيشون فكان ينتظر منهم الحمد والثناء فلم يجد سوى الجحود والنكران

وفى ربيع عام ١٩١٤ ذهبا إلى لندن حيث عقدا زواجهما وتعرفا هناك إلى الشاعر الشاب روبرت بروك الذى راح ضحية الحرب . وكان لورنس من أعدى أعداء الحرب لا ينى عن مهاجمة مبدئها وإظهار سخطه عليها . وفى ذلك الوقت ظهرت روايته « قوس قزح » فقال الناس عن كاتبها إنه مجنون يشكو من عقدة جنسية ، وأمرت الحكومة بمصادرة الكتاب وإحراق كل النسخ التى ظهرت منه ، وحتى أصدقاؤه الذين كان ينتظر منهم أن يؤازروه فى محنته ويقفوا إلى جواره انفضوا من حوله وانهالوا عليه نقداً وتجريحاً . عند ذلك أقسم لورنس أنه لن يكتب رواية أخرى بعد ذلك ، وقد بر بقسمه خمس سنوات ، وكان يعتقد أنه رجل سابق لعصره ، يراه الناس بعيداً عنهم فيبدو فى نظرهم صغير الجسم ضئيل الحجم ، ولو أنهم أوسعوا خطاهم واقتربوا منه لرأوا فيه رجلاً أعظم منهم وأكبر حجماً

وذهب بعد ذلك إلى مقاطعة كورنوول يقضى بها سنى الحرب، ولكن كانت زوجته الألمانية سبباً فى خلق كثير من الصعاب فى طريقهما فظن مواطنوه أنه يتجسس للألمان فكانوا يقتحمون منزله كل يوم ويقلبون أثاثه ويبعثرون أوراقه حتى يتأكدوا من حسن نياته. وحدث مرة أن كان عائداً مع زوجته وهو يحمل حقيبة على ظهره ، فلم يكد يراه حرس السواحل حتى انقضوا عليه بحجة أنه يحمل آلة تصوير فى الحقيبة ، وتسابقوا إلى فتحها ولخيبتهم لم يجدوا بها سوى رغيف من الخبز. وكان لورنس يصبر على كل هذه المكاره على مضض حتى زاره ضابط فى منزله ذات يوم وقرأ عليه أمراً حكومياً يقضى بأن يغادر مقاطعة كورنوول

فى بحر ثلاثة أيام على الأكثر . استشاط لورنس غضباً عند سماع هذا الاتهام الصريح فى أعز شىء لديه ، فهو الذى كان يفنى نفسه حتى يرفع من شأن مواطنيه ويدلهم على طريق الحياة الصحيح ويلدهم مالا يعلمون ، ثم يتهم فى وطنيته وانجليزيته ، كانت هذه أقسى ما ناله من الطعنات

وصل لورنس إلى لندن إبان شن الغارات الألمانية الجوية عليها فكان جميع أهل لندن يلجأون إلى الأقبية والمخابئ فراراً من هذه الغارات ، ماعدا لورنس الذى كان يرفض أن يترك فراشه أثناءها

وبعد أن وضعت الحرب أوزارها ذهب وزوجته إلى فلورنسه ومنها إلى جزيرة كابرى حيث كتب مجموعة قصائده المسماة « الطيور والحيوان والزهور » وكتب كذلك روايته « الفتاة المفقودة » وأخيراً كتب الكتاب الذى لم يغير فيه حرفاً واحداً وهو « البحر وسردينيا »

ثم ذهبا بعد ذلك إلى استراليا واستقلا القطار من سدنى على أن ينزلا فى أية مدينة يروقهما منظرها من نافذة القطار . فنزلا فى ثيرول حيث كتب روايته الشهيرة « القنغر » التى ضمنها كل آرائه فى استراليا وما لاقاه فى كورنوول من اضطهاد أثناء الحرب العظمى .

وهناك وصلته دعوة من مابل رودج للذهاب إلى تيوس فى المكسيك كى يتعرف إلى الهنود الحمر الذين كثيراً ما كان يظهر إعجابه بهم . فلم يتردد فى قبول الدعوة ، وكان هناك بعد وقت قصير. ثم انتقل من تيوس إلى مدينة المكسيك على أثر خلاف قام بينه وبين مابل رودج . وعلى بحيرة تشبالا كتب روايته الفلسفية « الثعبان ذو الريش » وفى الخريف التالى كتب « الصباح فى المكسيك »

ثم اشتدت عليه وطأة المرض فجأة ، ولما عاده الطبيب قرر أنه مريض بذات الرئة فى الدرجة الثالثة . ولكن لم يمنعه هذا أن يكتب وهو مريض مسرحيته المسماة « داوود » وقصته الطويلة « المرأة التى رحلت »

وفى الصيف التالى عاد إلى أوربا واستأجر فيللا بالقرب من جنوا ، وكان وهو فى فلورنسا قد كتب رواية أسماها « عشيق لادى تشارلى » ولكنه تركها مهملة فى أحد أدراج مكتبه خشية أن تثير عليه ضجة من جديد ، لأنه كان فيها صريحاً إلى أقصى حدود الصراحة . ثم قر رأيه أخيراً أن يخرجها إلى عالم الوجود . فأرسلها إلى أحد الناشرين فردها إليه مظهراً استهجانه لما جاء بها ثم أرسلها لورنس إلى آخر فرفضها هـذا بشدة . وأخيراً لم ير لورنس بداً من أن يأخذها إلى مطبعة إيطالية لا يعرف صاحبها من الانجليزية حرفاً واحداً . فوافق هذا على طبعها دون أن يدرى مما يطبع كلمة واحدة . وظهر الكتاب عام ١٩٢٨ ولكنه صودر لتوه . وفى العام التالى صودرت أيضاً مجموعة قصائد له . وزاد الطين بلة أن بلغه خبر مداهمة البوليس لمعرض صوره فى لندن ، وتحطيم جل صوره . فزادت وطأة المرض عليه ونقل إلى مصحة فى ڤنس vence حيث التف حوله كل أصدقائه يبذلون قصارى جهدهم لإنقاذه ، ومن بين هؤلاء الأصدقاء عائلة بروستر وهكسلى وإيدا رانه و هـ . ج . ويلز وأغا خان وزوجته . ثم نقلوه بعد ذلك إلى ڤيللا على مقربة من المصحة ، ولكن كان قد سبق السيف العذل ، فما كاد يصل إلى هذه الڤيلا حتى ساءت حاله وفاضت روحه إلى بارئها فى اليوم الثانى من شهر مارس سنة ١٩٣٠

« يتبع » عبد الحميد حمدى

مدرس بشبرا الثانوية

خريج جامعة اكستر بانجلترا

التاريخ في سير أبطاله

أحمد عرابي

أما آن للتاريخ أن ينصف هذا المصري الفلاح
وأن يحدد له مكانه بين قواد حركتنا القومية ؟

للأستاذ محمود الخفيف



ولقد ارتخص هؤلاء الساسة من دعاة المدنية الناقمين على أهل الشرق ما كانوا فيه من تأخر، كل كرامة بغية الوصول إلى أغراضهم، وانقلبت عندهم الأوضاع التي تعارف الناس عليها، وشهد التاريخ على مسرح السياسة من المضحكات ما يبكي، ومن المبكيات ما يضحك ؛ فلقد عز على هؤلاء السادة الذين راحوا يُدِلون بمدنيتهم ويتطاولون بما فعلوا في سبيل حرية الإنسان أن يروا أهل مصر ينزعون حقاً إلى الحرية ، ويعملون على الرقي بوطنهم جادين غير متوانين ، يتعاونون على الحق ويتناسون ما بينهم من دواعي الخلاف ، ويطرحون الأثرة بل ويحرمون على أنفسهم الطيبات حتى يتم لهم ما أرادوا

وذعر هؤلاء الكائدون لمصر الطامعون فيها أن أفاق أهلها على هذا النحو وقد كانوا يظنونهم أمواتاً أو كالأموات ، وهالهم أن يروا فريقاً من هؤلاء الفلاحين يستلبون سلطة الخديو تدريجياً ويحاولون أن يضموا أنفسهم بحيث تكون الأمة وهم نائبون عنها مصدر كل سلطان ، وأدركوا أن هذا البعث الذي أفاقت عليه مصر من نومها الطويل هو الصبح الذي يهتك أسدالهم ويبدد آمالهم، فناونوا يوماً كما بينا عن محاربة مصر وزعماء مصر ورميهم بكل فاحشة، وفي مقدمة هؤلاء جميعاً ذلك الرجل الذي خطا نحو الحرية الخطوة الأولى وصرخ في وجه الظلم الصرخة الأولى ...

ولم ير هؤلاء لوزارة البارودي حسنة واحدة . وكيف كانوا يرون لها حسنة ووجودها في الحكم كان في ذاته عندهم أقبح السيئات وأكبر الأوزار ، وإنهم ليفترون الكذب عليها وينسبون إليها من السيئات والأخطاء ما ليس لها به من علم

ولكن هذه الوزارة — وتلك عندي أكبر حسناتها — كانت لا تعبأ بما يرجف المبطلون فتمشي إلى غايتها على الشوك وقد عقد أعضاؤها النية على إنقاذ بلادهم من طمع الطامعين وكيد الكائدين، وعلى تمهدها بضروب الإصلاح في شتى مرافقها حتى تقوى فتمتنع على كل باغ ظلوم من خصومها

وما كان في الوزارة من عوامل الضعف سوى جهل رئيسها وأعضائها باللغات الأوربية، إلا وزير الخارجية مصطفى فهمي باشا؛ ولقد ضم إلى الوزارة ليكون لسانها في الصلة بالأوربيين ، ولكنه كان من رجال العهد القديم على حد تعبير مؤرخي الثورة الفرنسية، فلم يكن ينظر إلى الوطنيين نظرة الاحترام والتقدير، وإنما كان يرى فيهم فريقاً من الفلاحين يتطلعون إلى ما ليسوا أهلاً له، شأنه في ذلك شأن الجراكسة وأشباههم من سادات مصر وكبرائها في ذلك العهد. وعلى ذلك فقد كان وجود هذا الرجل في وزارة الخارجية عبئاً يضاف إلى أعباء الوزارة، وذلك أمر لم تفطن إليه إلا بعد فوات الوقت

وفيما عدا ذلك كانت وزارة البارودي وزارة وطنية حقاً تعمل صادقة مؤمنة على تحقيق آمال البلاد والنهوض بها على الرغم مما كان يحيط بها من دسائس وما كان يملأ أسماع رجالها من نباح وعواء

انتهى دور انعقاد مجلس النواب في ٢٦ مارس فقضى بذلك في العمل نحو ثلاثة أشهر وهي مدة وجيزة كان يشغل بال الأعضاء فيها ترتيب أعمالهم ، ولكن المجلس على الرغم من ذلك قد قسم أعضاءه إلى لجان مختلفة أخذت تتصل بالوزارات وتبحث معها الشؤون العامة التي تهم البلاد ، وجدّ المجلس في دراسة نصوص المعاهدات والمعاقدات العامة والخاصة المبرمة بين الحكومة المصرية والحكومات الأجنبية ورعاياها

وأخذت الوزارات تعد مشروعات الأصلاح المختلفة لعرضها على المجلس فى دور انعقاده القادم ؛ فكانت تنظر فيما يتطلبه التعليم وتفكر فى إنشاء مصرف زراعى ينتشل الفلاحين من وهدتهم ، وتعمل على إصلاح المحاكم المختلطة واختصاصاتها كما تناولت قانون الانتخاب وراحت تدرسه لتمد قانوناً جديداً يجعل للمحكومين الرقابة الفعلية على الحاكمين

ولكن حدث أنه كانت كلما تقدمت الوزارة فى خطى اصلاحاتها ازدادت لهجة الصحف الأوروبية فى العيب عليها والطعن فيها ، واشتدت وطأة الساسة فى نقد أعمالها ، وتزايدت دسائسهم من حولها ، وعلى رأس هؤلاء كلفن ومالت اللذان أدركا الآن ، أو على الأصح وُجِّها ، إلى أن مهمتهما فى مصر أصبحت استعجال الحوادث تمهيداً للتدخل العسكرى

« وقد جد عرابى بنوع خاص فى إصلاح نظارته التى كانت فى منتهى الفوضى والخراب وذلك ليستعد للطوارئ كلها فأظهر همة فائقة فى إصلاح حصون السواحل ونظم احتياطى المدفعية ووزعه على تلك الحصون[1] »

والحقيقة التى لا يمارى فيها إلا المغرضون المبطلون أن البلاد كانت تشيع فيها روح الوطنية الصادقة التى تبرهن على صدقها بالأعمال لا بالأقوال. ولو أنه قدر للوزارة السامية أن تسير على هذا النهج لكان أثرها بعيداً فى تاريخ مصر بل وفى تاريخ القرن التاسع عشر كله ، فلقد كانت المسألة المصرية تعتبر من كبريات المسائل فى ذلك القرن

وليس أدل على وجود الروح الوطنية فى مصر يومئذ من هاتين العبارتين اللتين نوردهما فى هذا المجال ، وأولاهما ما كتبه دى فريسنيه فى كتابه « المسألة المصرية » حيث يقول فى تعليقه على مجلس النواب واختصاصاته : « إن كتاب ذلك العصر اجتهدوا فى أن يسخروا من طلب الذين كانوا يطلبون توسيع اختصاص المجلس ، حتى ليخيل إلى الذى يقرأ خطابات بعض الخطباء أن الوطنية المصرية كانت فى ذلك الوقت تلفيقاً ، وأن وادى النيل لم يكن يحتوى إلا على فلاحين تحنى العصا ظهورهم . فكل ما نرد به على هؤلاء الكتاب والخطباء ، هو أن آباءنا كانوا أقل من هذا امتهاناً للوطنية المصرية فى عهدهم ؛ وذلك أن نوابنا فى سنة ١٨٤٠ لم يترددوا فى أن يتكلموا فى خطبهم عن الرعاية الواجبة للوطنية المصرية الناشئة . فقد كانت هناك إذاً وطنية مصرية ناشئة تستحق الرعاية فى سنة ١٨٤٠ . ولست فى هذا مبالغاً ، ولا أنا ممن يحبون المبالغة، ولكن لا ريب فى أنه كانت توجد فى قلوب المصريين من أربعين سنة مضت مطامح كان من الممكن أن تراعى فى حدود معتدلة . تلك حقيقة لا تحتمل جدلاً ؛ غير أن الذين كانوا يقبضون على حظ مصر لم يكونوا يرون فى المصريين غير قوم مدينين . فلم يكونوا يعرفون فى معاملتهم إلا مصلحة واحدة : هى مصلحة الدائنين الأوروبيين التى يجب أن تقدم على ما عداها . وبذلك لم ينتبهوا إلى أن مثابرتهم على اعتبار مصر رهنا ، وتدخلهم فى شؤونها تدخلاً أدى بحكومتها إلى أن تصير فى أيدى الأجانب ، كانا قد انتهيا على طول الأيام بأن يجرحا شعور الشعب المصرى الذى هو شعب حى مهما يقل القائلون فى تعوده الطاعة والخضوع من أجيال » .

وأما ثانية العبارتين فهى ما كتبه من باريس سنت هيلير إلى قنصل فرنسا العام فى مصر فى ١٧ أكتوبر سنة ١٨٨١ قال : « ليس من السهل علينا أن نقدر من هنا قوة هذه المطامح الشرعية ولا كيف يمكن إرضاؤها ، ولكن هذه المطامح حقيقية إلى أعظم حد، ومبررة من بعض الوجوه إلى أعظم حد أيضاً، فلا يمكن إهمالها ولا يمكن على الخصوص التفكير فى خنقها[1] »

من هاتين العبارتين يتبين لنا أنه كان فى مصر يومئذ حركة وطنية ، فليتدبر ذلك أيضاً من يريد أن يحكم على رجال ذلك العهد وفى مقدمتهم عرابى ، وليشفق على أنفسهم الذين يرمون عرابياً ورجاله بالفوضى والجهل والأنانية . ليشفق هؤلاء على أنفسهم فلن يجدر بهم أن يظلوا يجهلون تاريخ هذا الرجل فيحملون الذين يعلمون حقيقة هذا التاريخ على الزراية بهم والاستخفاف بقولهم، إذ ليس أدعى إلى الاستخفاف بعقل رجل من أن تراه يجهل أمراً من الأمور ثم إذا هو يدلى فيه برأى قاطع فى لهجة يتردد فى اتباعها الراسخون فى العلم ...

ما كان عرابى طائشاً ولا داعية فوضى، ولكن كان زعيماً مخلصاً يعمل بوحى من وطنيته ويصيب ويخطئ كما يصيب الزعماء غيره ويخطئون كل على قدر ما اجتمع له من الكفاية والمقدرة ! والخطأ والصواب من خواص البشر ومردها إلى العقل وسعته أو ضيقه ؛ أما الصدق والإخلاص وما إليهما من صفات الزعامة والبطولة فلا تسامح فيها ولا تهاون ، بل لا يصح أن تكون هذه أموراً يجوز فيها التفاوت إذا عقدت المقارنة بين زعيم وزعيم وبين

(١) المسألة المصرية تعريب البادي وبدران

(١) العبارتان منقولتان من مقدمة كتاب التاريخ المصرى بقلم الأستاذ عبد القادر حمزة

بطل وبطل! وكيف يجوز فى عقل أن يكون هناك صدق ونصف صدق وإخلاص ونصف إخلاص؟ إن هذه أمور جلالها وجمالها بل وجوهرها فى أن تكون غير قابلة لزيادة أو نقص؛ وعلى الذين لا يزالون يخاصمون عرابياً أن يأتوا بدليل واحد على كذبه أو مروقه. أما الخطأ والصواب فليقولوا فيهما ما شاءوا وبيننا وبينهم حوادث هذه الثورة الوطنية على قدر ما وصل إلينا منها ترينا مبلغ ما فى مزاعمهم هم من خطأ أو صواب

زار مستر بلنت قبل سفره إلى انجلترة عرابياً فى وزارة الحربية زيارة وداع، ويجدر بنا أن نثبت هنا بعض ما كتبه ماليت عن عرابى فى هذه الزيارة قال: «تناقشنا فى كل الموضوعات التى كانت محل الكلام فى الدوائر الوطنية بما فيها من مشروعات للأصلاح وأمان ومخاوف فى الداخل والخارج، وكانت بضعة الأسابيع التى قضاها عرابى فى مركزه الجديد قد أنضجته وقوته؛ فناقشنى فى كل الموضوعات برصانة واعتدال عظيمين سواء فى التفكير أو فى اللهجة! وقد أكد لى أنه هو وزملاؤه الوزراء يرغبون كثيراً فى أن يصلوا إلى تفاهم ودى مع الحكومة البريطانية فى كل المسائل التى يختلفون فيها مع الوكالة البريطانية فى القاهرة، وطلب إلى أن أبلغ رسالته هذه بصفة رسمية إلى غلادستون! وقد شكا شكوى مرة من كلفن وماليت اللذين ظهر مسلكهما العدائى من الخطة التى جريا عليها فيما يختص بتشويه سمعة الوطنيين فى الصحف البريطانية وقال لى: «إن السلام لا يمكن أن يوطد فى القاهرة ما بقى هذان، وما بقيت علاقتنا مقصورة عليهما، فإننا نعرف أنهما يعملان لإيذائنا سراً إن لم يكن جهراً، وسنقف بمعزل عنهما جميعاً، ولكننا لا نريد أن نختلف مع انجلترة كرامة لهما. دع المستر غلادستون يرسل لنا أياً كان خلافهما لنتفاهم معه ونحن نستقبله بأذرع مفتوحة[1]»

هذا هو جانب من حديث عرابى مع بلنت نضعه تحت أعين الذين اتهموه بالنزق وعدم التبصر فى عواقب الأمور ليقولوا لنا: هل فيه كلمة واحدة فى غير موضعها؟ هل يتهدد فيه عرابى الانجليز، ويتوعد كما كان حرياً أن يفعل لو كان كما وصفه أعداؤه؟ إنه يشكو من كلفن وماليت ويطلب غيرهما حتى يتسنى لمصر أن تتفاهم مع انجلترة وإنك لتراه بذلك يلقى تبعة اضطراب السياسة الانجليزية على كاهل هذين الرجلين فيرى الإنجليز جميعاً رمية ماهرة كيسة فى شخصيهما، فهو يعلم أنهما يمثلان نيات حكومتهما، ثم هو يفتح الباب بذلك للتفاهم فلا يدع فى مسلكه مجالاً لأعدائه؛ كل ذلك دون أن يفرط فى حقوق بلاده أو يشترى بها ثمناً قليلاً وهو الذى جعل خصومه الخيانة فى أوائل ما اتهموه به. «يتبع» الخفيف



(١) التاريخ السرى ترجمة البلاغ

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٤٦٠ — أرى الدعوات قد صارت قروضا

في (محاضرات الراغب): ذكر بعض الكتاب أنه كان يعاشر سوقياً. فاتفق أن دعاه يوماً، قال: فلما تمكنت اشتغل عني صاحب الدعوة فعثرت على رقعة بخطه فيها: « فلان دعاني مرتين ودعوته ثلاث مرات فعليه دعوة، وقد ذكرنا على هذا أسامي كل من يعاشرنا ». فلما انتهيت إلى اسمي فرأيته قد حصل له على دعوات — خرجت وقلت له: لا أتناول طعامك حتى أرد ما علي، وقلت في ذلك:

أرى الدعوات قد صارت قروضا ... وديناً في البرية مستفيضا
فأكره أن أجيب فتى دعاني ... ولا أدعو فيلقاني بغيضا

٤٦١ — ولباس للرأس ...

قال ابن سعيد في (المُغْرِب): الغالب على أهل الأندلس ترك العمائم ولاسيما في شرق الأندلس. وقد رأيت عزيز بن خطاب أكبر عالم بمرسية حضرة السلطان في ذلك الأوان وإليه الإشارة وقد خطب له بالملك في تلك الجهة وهو حاسر الرأس، وشيبه قد غلب على سواد شعره. وأما الأجناد وسائر الناس فقليل منهم من تراه بعمة في شرق منها أو غرب. وابن هود الذي ملك الأندلس في عصرنا رأيته بجميع أحواله ببلاد الأندلس وهو دون عمامة، وكذلك ابن الأحمر الذي معظم الأندلس الآن في يده.

٤٦٢ — أأخاطب بالتأمير والي منبج

كان البحتريّ مقيماً في العراق في خدمة المتوكل ووزيره الفتح بن خاقان، وله الحرمة التامة، فلما قُتلا رجع إلى مَنْبِج[1] وكان يحتاج للترداد إلى الوالي بسبب مصالح أملاكه، ويخاطبه بالأمير لحاجته، ولا تطاوعه نفسه إلى ذلك، فقال:

مضى جعفرٌ والفتحُ بين مُرَمَّل ... وبين صبيغٍ بالدماء مضرَّج[1]
أأطلب أنصاراً على الدهر بعد ما ... ثوى منهما في الترب أوسي وخزرجي[2]؟
مضَوْا أَمَماً، قَصْداً، وخُلِّفْتُ بعدهم ... أخاطب بالتأمير واليَ مَنْبِج[3]!

(١) منبج من كور قنسرين، بينها وبين حلب عشرة فراسخ، وإلى الفرات ثلاثة فراسخ

٤٦٣ — شكوى في الصحف

لما اشتد بلاء عبد الرحمن بن أم الحكم على أهل الكوفة قال عبدالله بن همام السلولي شعراً، وكتبه في رقاع، وطرحها في مسجد الكوفة:

ألا أبلغْ معاوية بن صخر ... فقد خرب السواد فلا سوادا[4]!
أرى العمال قد جاروا علينا ... بعاجل نفعهم ظلموا العبادا!
فهل لك أن تدارك ما لدينا ... وتدفع عن رعيتك الفسادا[5]؟
وتعزل تابعاً أبداً هواه ... يخرب من بلادته البلادا!
إذا ما قلت أقصر عن هواه ... تمادى في ضلالته وزادا!

فبلغ الشعر معاوية فعزله.

٤٦٤ — فأين الرعاية والتذمم؟

(شرح النهج) لابن أبي الحديد: قال عمر لرجل همّ بطلاق امرأته: لِمَ تطلقها؟ قال: لا أحبها!

قال: أوَ كلّ البيوت بُنيت على الحب، فأين الرعاية والتذمم[6] ؟؟!!!

(١) مرمل بالدم: ملطخ به

(٢) أوسي وخزرجي: أنصاري

(٣) الأمم: البين من الأمر، أمر بني فلان أمم أي بين لم يجاوز القدر (التاج، اللسان) هو على القصد، وعلى قصد السبيل إذا كان راشداً، وله طريق قصد خلاف قولهم جور (الأساس)

(٤) خرجوا إلى سواد المدينة وهو ما حولها من القرى والريف ومنه سواد العراق لما بين البصرة والكوفة من قراها (الأساس) العرب تسمي الأخضر أسود لأنه يرى كذلك على بعد، ومنه سواد العراق لخضرة أشجاره وزروعه (المصباح)

(٥) تدارك: تتدارك، حذف التاء كثير

(٦) من خلال المكارم التذمم للصاحب، هو أن يحفظ ذمامه ويطرح من نفسه ذم الناس له إن لم يحفظه (التاج) تذمم: استنكف، يقال: لو لم أترك الكذب تأثماً لتركته تذمماً (الصحاح)

٤٦٥ — دعوه قبل أن ننتفع به

(محاسن البيهقي) : ابن ضروع عن أبيه : كنت أسير في موكب يحيى بن خالد . فعرض له رجل من العامة ، ومعه كتاب فقال : أصلح الله الأمير ! إختم لي هذا الكتاب . فبادر إليه الشاكرية[1] يزجرونه من حواشي موكبه . فقال : دعوه قبل ألاَّ ننتفع به (يعني خاتمه) واستدناه فختمه له ، وتعجب مسايروه من اغتنامه المعروف ، وعلمه بأفعال الرجال[2] .

٤٦٦ — التوءمون العراقيون

في (الحوادث الجامعة في المئة السابعة) لابن الفوطي : في سنة (٦٤٥) ولدت امرأة فقيرة أربعة في بطن ، فشاع ذلك وأنهى خبرها إلى الخليفة ، فأمر بإحضار الأولاد ، فأحضروا في جونة ، فتعجب من ذلك ، وأمر لهم بست مائة دينار وثياب ، وكانت المرأة وزوجها في غاية من الفقر لا يملكان حصيراً !

***

قلت : نعش خليفة ذلك العصر التوءمين العراقيين نعشاً عظيما وقد أخبرتنا الصحف في هذه الأيام أن كندية أمريكية قذفت بتوءمات خمس ، فكفلتهن الدولة كفالة بليغة ، ووظفت للناجلين في كل شهر وظيفة ، وقد أمست مدينتهن بهن محجا ، وأخبارهن في صحف العالمين مستفيضة . ولما زار ملكا البريطانيين ذلك الإقليم في هذا الوقت شاهداهن وناغياهن ، وتعجبا من التوءمات تعجب آخر الخلفاء في بغداد من التوءمين

٤٦٧ — انحدا روحاً وجسداً

في (شذرات الذهب) : في سنة (٣٥٢) بعث صاحب أرمينية إلى ناصر الدولة رجلين ملتصقين خلقة من جانب واحد فويق الحقو (الخاصرة) إلى دوين الإبط ولدا كذلك ، ولهما بطنان وسرتان ومعدتان ، ولم يمكن فصلهما[3] ، وكان ربما يقع

(١) الشاكري : الأجير والمستخدم وهو معرب جاكر (القاموس)

(٢) في الوفيات : قال الحسن بن سهل : من غيرة الولاية لاخوانه علمنا أن الولاية أكبر منه ، أخذنا ذلك عن صاحب ديوان المكارم أبي علي يحيى بن خالد بن برمك

(٣) قلت : لو كانا في هذا العصر لفرق العلم والحضارة الأوربية بين الأخوين ...

بينهما تشاجر فيختصمان ، ويحلف أحدهما لا يكلم الآخر أياماً ثم يصطلحان ، فمات أحدهما قبل الآخر فلحق الحي الغم من نتن الرائحة فمات

٤٦٨ — ودنيا تناديك أن ليس حر

ابن مقلة :

زمانٌ يمرُّ ، وعيشٌ يمرُّ ودهرٌ يكرُّ بما لا يسرُّ !
وحالٌ يذوبُ ، وهَمٌّ ينوبُ ودنيا تُناديك أن ليس حرٌّ !!

٤٦٩ — صحبة الأكابر تورث السلامة

حكي عن الشيخ العارف أبي العباس المرسي أن امرأة قالت له : كان عندنا قمح مسوس فطحناه فطحن السوس معه ، وكان عندنا فول مسوس فدششناه[1] فخرج السوس حيّا

فقال لها : صحبة الأكابر[2] تورث السلامة

٤٧٠ — من قبل أدسن

قال ياقوت : من عجيب ما مر بي من الكذب حكاية أوردها غرس النعمة قال : كان لوالدي تاجر يعرف بأبي طالب ، وكان معروفاً بالكذب . فأذكر وقد حكى في مجلسه والناس حضور عنده أنه كان في معسكر محمود بن سبكتكين صاحب خراسان ببخارا[3] معه ، وقد جاء من البرد أمر عظيم ، وأن الناس كانوا ينزلون في المسكر ، فلا يسمع لهم صوت ولا حديث ولا حركة ؛ حتى ضربُ الطبل في أوقات الصلوات . فإذا أصبح الناس وطلعت الشمس وحميت ذاب ذلك الكلام ؛ فسُمعت الأصوات الجامدة منذ أمس من أصوات الطبول والبوقات[4] ، وحديث الناس ، وصهيل الخيول ، ونهيق الحمير ، ورغاء الإبل ...

(١) الدش مثل الجش ، والدشيشة لغة في الجشيشة . جش الحب طحنه طحنا غليظا جريشا ، والدشاس من يرض الحبوب ، ويقال : حب مدشوش (اللسان ، التاج)

(٢) يعني الشيخ بالأكابر الفضلاء العلماء والكرام العظماء لا الأغنياء الأوشاء أو الأمراء السفهاء أو عمال السلطان غير الطيبين الصادقين الأمناء

(٣) يكتبها بعضهم بالألف لأن أصلها بخاراء بالمد .

(٤) البوق : هو الذي يزمر فيه ، وذكر الشهاب في العناية أنه معرب بوري ، وأنشد الأصمعي : زمر النصارى زمرت في البوق (التاج) . قال أبو الفتح : عاب على المتنبي من لا خبرة له بكلام العرب جمع بوق على بوقات

وحي الشاعرية

نفسيات

للأستاذ حسن القاياتي

خطرات لاءٍ في تفجُّع باكِ ... لا راحمي ألقى ولا أنا شاكي
كيف الصدود عن ابتسامة واجدٍ ... خُضِبت بدمع الناظر السفّاكِ؟
آسٍ كما أعطشتَ ورد خميلةٍ ... فسما إليك بثغره الضحّاكِ
اللاعجُ البسّامُ تُرمِض نارُهُ ... في الخدّ مثنى النور في الأسلاكِ
دهري متى يُوحى إلى أفلاكه ... ألاّ نباحَ لدورة الأفلاكِ ؟
حرٌّ كوردات القفار مُضيَّعٌ ... لا النبل سادَ ولا الأريجُ الذاكي
يا صبوة ما كنتُ أصدُق وصفَها ... إلا كما صدق الصبابة (حاكي)
رقّ الشباب على حُلّة ناسكٍ ... طرّزتُها بحلاوة الفُتّاكِ
مَلكُ الجمال على رشاقة جوره ... كم رُعتُهُ بتصلّف الأملاكِ
أتقى لدى الحسن الحياء فأتقى ... والحسنُ حظ اللاهج الفتّاكِ

***

أهلاً بكاسية الدلال بشاشةً ... هات الحديث عن الصدود وهاكِ
تيهي كما أمرَ الدلالُ فإنه ... أغرى فؤاديَ بالأسى ونهاكِ
أهواكِ ملءَ جوانحي وكأنني ... من فرط ما أخشاكِ لا أهواكِ
يشتاق طرفي أن يراكِ قريبةً ... يا قُرّة الأبصار حين تراكِ
رُدّي لي الليلَ البهيّ كأنما ... كُحِلت بطيب سواده عيناكِ

***

أخلو إلى زهر الرياض كأنني ... أخلو إلى مرآكِ أو ذكراكِ
وأدير سمعي للطيور فصيحةً ... فكأنما أصغي إلى نجواكِ
لله من شادٍ أطلّ بسجعه ... كالشاديات نظرن من شُبّاكِ
في الروضة المعطار منك شمائلٌ ... ريّاكِ في زهراتها وحُلاكِ
وَرْدٌ يميل مع النسيم كأنما ... أقبلتِ باسمةً لألثم فاكِ
عطفاً حياة الفاشلين مريرةٌ ... إن رُعتِ فاتنةً فما أحلاكِ

« السكرية — دار القاياتي »
حسن القاياتي

لي !...

[تذكار لجلسة في شرفة كان يغشاها نور النجوم]

للأستاذ العوضي الوكيل

لي سحرُ وجهكِ دونَ الناس أقبسُهُ
وَلي جمالكِ تسبيني مرائيهِ
ولي جبينُكِ حلواً عاطراً نضراً
وَلي التفاتُكِ في شتّى معانيهِ
ولي قوامُكِ ، لا الأغصانُ تُشبهُهُ
حسناً ، ولا الأسيُفُ البيضاء تحكيهِ
ولي خيالُكِ ما باتتْ شواردُه
تحوطني بين إخفاءٍ وتمويهِ
يا سوسنَ الروضِ مالي فيكِ من غزلٍ
إلاّ جمالكِ بالأنسام أرويهِ

***

لم أنسَ ليلةَ رقّ الجوّ رقّتنا ... ورقّةَ اللثم عنّا أيّ ترفيهِ
وللسماء هدوءٌ في تطلّعها ... وللنسيم خُفوقٌ في مساريهِ
وللأحاديث سحرٌ في تبلبُلِها
ومجلسُ الحبّ قد رقّت حواشيهِ
وازدانَ وجهُكِ بالنورين : نورِ هوًى
فيه ، ونورِ النجوم الزُّهرِ تُزجيهِ
قد كان يبهجني فيما أشاهده
نورٌ على وجهك السحريّ بل فيهِ
وجاذبيّةُ فنٍّ لا شبيهَ لها ... وربّ فنٍّ سما عن كل تشبيهِ
حينٌ أطالَ حياتي فهي خالدةٌ
بما ارتوت — قسمات — من مساقيهِ

(دماس — دقهلية)
العوضي الوكيل


تناولوا
الشاى
المثلج
فى
فصل
الصيف
منعش مرطب
للجسم مفيد
للصحة
طريقة عمله
جهز شايا ثقيلاً واسكبه على مبشور الثلج ثم اضف
اليه السكر والليمون او اللبن حسب ما يلائم ذوقك
الشاى الجيد وارد الهند وسيلان وجاوه وسومطرا



دراسات فى الفن

متابعة العلم ليست فناً

على ذكر الفن الرمزى الحديث

للأستاذ عزيز أحمد فهمى

كنا نعرف الفن الرمزى فيما مضى على نوعين : إما أن يكون تجسيداً للمعانى يتدلى به الفنان إلى جمهور الأذهان ، وإما أن يكون على العكس من ذلك تلويحاً بالبعيد دون القريب يتعالى به الفنان على جمهور الأذهان . ولم يكن هذا لينتزع من الفن الرمزى طبع الفن ولا خواصه ، فقد احتفظ بكيانه كاملاً ، فهو سابق وهو حر ، وهو صادق وهو شاعر

واليوم يراد بنا أن نعرف نوعاً ثالثاً من الفن الرمزى هو — فيما يقول أهله — تابع يمشى وراء العلم ، علم النفس ، يشرح نظرياته وقواعده وما يثبت عنده من طباع النفس وأحوال حياتها . فهل يجوز لنا أن نقبل هذا النوع الثالث على أنه فن صحيح ؟

إننا إذا فعلنا ذلك جرأنا كثيراً جداً من الأعمال العقلية على المطالبة بالارتفاع إلى مستوى الفن ، وقد يجرنا هذا إلى نوع من البلشفية الروحية التى تسوى ما بين الحق والزيف ؛ فتصبح ألفية ابن مالك فناً شعريا لأنها نظم يشرح النحو، كما أصبح الخشب فى هذه الأيام حريراً ، وكما خرج السمن فى هذه الأيام من زيت جوز الهند .

وكى ندفع عن رأينا هذا ، فإنه يلزمنا أن نتعرف فى الفن بعض النواحى التى لو فقدها لفقد طبيعته ، فأصبح شيئاً آخر قد يكون حلواً لذيذاً ، ولكنه لن يكون بحال من الأحوال فناً صحيحاً .

فما هى هذه النواحى التى يتحتم على الفن أن يستوفيها كى يكون فناً صحيحاً ؟

أولها من غير شك هذا الحس الصادق الذى تبعثه الحياة نفسها . وهذا الحس هو الذى يملأ نفس الفنان حتى يفعمها ، ثم يفيض منها فناً يتلقاه الناس فيشعرون أنه نبع من نفس صاحبه رغم أنفه ، لأنه لم يكن يملك من يكتمه بعد أن ازدحم فى نفسه وكثف . والفنان الحق لا يبحث عن الأحاسيس ولا يتكلفها ، وإنما هو منطلق فى الحياة كما ينطلق بقية الناس ، أو كما تنطلق بقية المخلوقات لا يعتزم أن ينتج فناً ، ولا يتهيأ لذلك ، ولا يتعلم من الناس طريقة التعبير عن نفسه .

ومع هذا الحس الصادق سَبْقٌ يطير بالفنان إلى حقائق الكون على جناحين من هذا الحس نفسه . فالفنان الحق لا يمكنه أن ينتظر حتى يقول له العلم إنه ثبتت لديه حقيقة من الحقائق على وجه من الوجوه ، وإنه يأذن له على أساس هذا الثبوت أن يتخذ من هذه الحقيقة مادة لفنه . هو لا يمكنه أن ينتظر حتى يحدث هذا وإنما هو يصل من تلقاء نفسه إلى هذه الحقائق فيعلنها والعلم لا يزال يحبو فى الطريق إليها متثاقلاً متلكئاً ؛ وقد يصيب الفنان هذه الحقائق ، وقد يخطئها ، ولكنه على أى حال يصل إلى شىء ما ، — بعيد عنها أو قريب منها — على أنه هو نفسه لا يعنيه من هذا كله إلا أن ينطلق ، وأن ينطلق فقط .

ومع هذا الحس ، ومع هذا السبق به ، فإنه لا بد للفنان أن يدفعه إلى إنتاجه الفنى دافع نفسانى من العواطف التى ينفثها فى فنه

رضى أو سخطاً أو غير ذلك ، وإلا كان الفن بارداً برودة الموت ، لأنه خلا من العاطفة وهى روحه وباعثة الحياة فيه .

ومع هذا وذاك فلا بد أن يكون الفن حراً لا يرضى لنفسه أن خضع فى الأغلال والقيود ، ولا يقبل أن يتحكم فيه شىء ، وإن رضخ له كل ما ينتجه العقل البشرى من علم وصناعة .

هذه « أوليات » لا يمكن أن يكون الفن فناً بدونها . فهل تتوفر هذه « الأوليات » فى هذا النوع الثالث من الفن الرمزى الذى يطالعنا به هذا العصر الحديث ؟

أما الحس الصادق فهارب من أهل هذا الفن ، وليس هو وحده الذى هرب منهم وفر ، وإنما تسلل من نفوسهم معه كل حس فلم يعودوا يحسون إحساساً صادقاً ولا إحساساً كاذباً . وليس هذا لأن الله خلقهم هكذا « مبرشمين » بل لأنهم هم أنفسهم أرادوا أن يكونوا هكذا . فلم يقبلوا أن يكون فى الناس من يزيد عليهم علماً ، ولا من يزيد عليهم اطلاعاً ، ولا من يزيد عليهم إلماماً بما يكتب وعيا فى الكتب ، ولا من يزيد عليهم إحاطة بما يحدث فى هذه الدنيا من اختراعات واكتشافات ونظريات ومعلومات ، فأدمنوا القراءة ، وأدمنوا التعلم ، وأدمنوا الاطلاع ، وهذا كله يشغل العقل ويجهده ، ويأخذه بالمران على سلوك نهج الناس فى التفكير . والذى لا شك فيه هو أن هذا العصر الحديث قد اختط لنفسه نهجاً خاصاً فى التفكير ربما تكون الإنسانية قد اصطنعته فى يوم ما ، ولكنها على أى حال لم تقطع فيه شوطاً بعيداً كهذا الذى قطعته فيه هذه الأيام ، ذلك هو طريق المادة ، فالإنسانية اليوم تحشد مواكبها جميعاً فى هذه الطريق ، والقوى القادر هو من تقدم إلى الطليعة يتلقط الثمر الذى يبعثره الشيطان أمام هذا القطيع البشرى ، والضعيف المزيل هو من تأخر إلى آخر الموكب يتلقط القشور والنوى

والفنان الذى يصطنع هذا اللون من التفكير يقوى واحدة من ناحيتيه الإنسانيتين على حساب الأخرى إذ ينصر عقله على إحساسه ، وهو لا يقوى هذه الناحية فى طريقها الفطرى الذى ترضاه الطبيعة والذى تطالب به برهاناً على جدارة الإنسانية بنعمة العقل الذى لا يؤذى النفس ولا يؤذى الغير ، ولكنه يقويها وهى جامحة فى طريق خاطئ كله رذيلة وكله شر . ومهما ادعى الفنان المشغوف بالعلم اللاهث من الجرى وراءه أن فى استطاعته الاعتصام بنفسه عن نزوات العقل والعلم والحضارة الحديثة ، فإنه إما مخادع فى هذه الدعوى وإما مخدوع ، لأن طابع العقل والعلم والحضارة فى هذا العصر هو طابع المادة ، فالعقل لا يقر من الحقائق إلا ما ثبت ثبوتاً ماديًّا ، وأول ما ينكره إذن هو الحس والروح . والعلم لم يعد الناس يطلبونه ليجدوا فيه المتعة الروحية أو ليصلوا عن سبيله إلى ما هو أكبر وأعز وأنفس من هذه الحياة ... وأما الحضارة فما هى ذى : عمارات ، وطيارات ، وبوارج ، وغازات سامة ! وكفى هذا القرن العشرين سبة أنه عند ما قال له فرويد : « إن الإنسانية تحركها فى حياتها قوة الغريزة الجنسية » اطمأن إلى هذا اطمئناناً ثبت فى النفوس وتأصل وتفرع وتسلقت منه أغصان سامة هاصرة التفت حول كل شىء حتى أعناق الفنون تريد أن تدقها لتتفرد البهيمية فى نفوس الناس على أساس من العلم وليجىء يوم تنضم فيه مستشفيات المجاذيب وحدها على الذين يؤمنون بالحس والروح ، وليجىء بعده يوم تبرأ فيه الإنسانية من الحس والروح ويكون أمرها إلى الغريزة الجنسية أولاً وأخيراً

ويا له من يوم . . . ! يوم يقول فيه الناس : عاش على هذه الأرض فيما سبق مجنون كان يدعى غاندى وقد كان تلميذاً لمجانين من أساتذته السابقين !

فهل يرضى الفن عن هذا وهو الملكة من روح الله فى نفوس الفنانين ... ؟

لا ! إنهم سيثورون على هذا العقل وعلى هذا العلم وعلى هذه الحضارة ، وسترى الإنسانية عن قريب يوماً يكون الهداة فيه كتاباً ، ورسامين ، وموسيقيين ، وممثلين ، وشعراء ، ومغنين وسيصرخ هؤلاء فى وجوه الذين يدحرجون الإنسانية إلى الهاوية ليبيعوا لها الحديد والنار للقتال ، وليبيعوا لها الخبز والماء لإمساك الرمق من أجل القتال وحده . وستكون أهون صرخاتهم كتلك التى صاح بها شارلى شابلن فى وجه « العصر الحديث » بقصته الأخيرة ...

ولعل العالم لما ينس قصة « كل شىء هادئ فى الميدان الغربى »

وغيرها من قصص السينما والمطبعة التي كشفت الستر عن مآسي الحرب وما بثها من جنون العقل ، وما ألهبها من هوس العلم ، وما غذاها من اختبال الحضارة وجشع المادة . كانت هذه القصة كما كانت غيرها من القصص الداعية إلى الروح والسلام فناً ، وكانت حية ، وكانت حارة . وقد خلّقتها جميعاً في نفس منشئها عاطفة واحدة هي الاشمئزاز من العقل والعلم والحضارة الحديثة ، لأن الفنان الحق لا يملك أن يقف من العقل والعلم والحضارة الحديثة إلا موقف المشمئز الكاره لا موقف المحب التابع ، أو العبد الخاضع ، ما دام يرى هذا اللون الأحمر الذي تصطبغ به الحضارة القائمة على أساسين من العقل والعلم والخالية من الحس والروح

أما القول بأن علم النفس لا يدعو إلى الحرب فلا تصح كراهيته، وإنه من الجائز للفنان أن يتابعه وأن يجني الحق من فضله فهو قول يلجأ إليه المكتوف المعصوب العينين ، ولا يقبل أن يقول به فنان منطلق لا يشعر بحاجته إلى العلم كي يرى ويسمع لأنه بعينيه يرى وبأذنه يسمع ... وإلا فعليه أن يطمس عينيه ، وأن يسد أذنيه وأن يقنع بقراءة الكتب التي تؤله الغريزة الجنسية ، وأن يجري وراءها .

سيقولون إن أسمى الفنانين هو الذي ينتج فناً إنسانياً عاماً تتذوقه النفوس جميعاً . وسيقولون إن القواعد التي يقررها علم النفس قواعد عامة تنطبق على النفوس جميعاً انطباقاً تاماً سليما ، وهذا وحده يكفي — عندهم — أن يغري الفنانين بالإقبال عليها والتعلق بها . وردنا على هذا أن هذه الطريقة التي يصطنعونها طريقة عقلية تجارية ليس فيها من خير إلا أنها مريحة جداً للفنان الذي يسلكها إذ يستغني فيها بكتاب يشتريه بدراهم معدودة فيقرأه فيتخذ منه مادة الفن ... عن سنوات أو أشهر أو أيام ينفقها من عمره في هذه الحياة تأكل من أعصابه وتشرب من دمه لتجود عليه بعد ذلك بمثل ما جادت به على من أخرجوا البؤساء، وآلام فرتر ، ومتروبوليس ، وفاوست ، وسائر هذه الجمرات الخالدة التي التهبت جمرات في نفوس أصحابها لا كتلاً من الثلج المصنوع من الماء والأحماض والأملاح

لم يكن العلم يوماً من الأيام هادياً للفن ، وإنما استطاع في كثير من الأحوال أن يهدي الصناعة والتجارة

فإذا كان أتباع العلم هؤلاء فنانين حقاً فلماذا لا ينشرون إحساسهم على العالم فيحيطون به ثم يطالعوننا بما ينطبع في حسهم وهم يرون العالم على ما هو عليه ، وهم يعرفون ما هو عليه ؟

لم يكن العلم يوماً من الأيام هادياً للفن ، وإنما كان الفن على مر الزمان سباقاً

وإني أريد الآن أن أتصور واحداً من هؤلاء الذين يتبعون العلم في فنهم وهو يريد أن يضع قصة مثلاً ، كيف يضعها ؟ إنه يقرأ في كتاب من كتب علم النفس أن الذاكرة تغيب عن الإنسان أحياناً فيتسلمها العقل الباطن ، ويعيش الإنسان مدة طويلة أو قصيرة وهو بغير ذاكرة فتصدر منه أقوال وأفعال لا تستقيم مع حياته الظاهرة . وقد يحدث بعد ذلك حادث يعيده إلى ذاكرته أو يعيد إليه ذاكرته ، أو قد لا يحدث له هذا الحادث عفواً ، فهو إذن محتاج إلى التنويم المغناطيسي يرد إليه ذاكرته

يقرأ الكاتب المثقف هذا فيقول في نفسه : والله إن هذا الموضوع يصلح قصة ؛ فلأركبها إذن من رجل وزوجته فتغيب عنه ذاكرته فتشقى هي لهذا ، وأخيراً يسعدان بشفائه ، ثم يعود فيقول لنفسه : وما هي الحوادث التي سأوقع بهذا الرجل فيها ، على أن تكون حوادث مسلية لذيذة ، وعلى أن تكون في الوقت نفسه غامضة حتى يثبت للقراء أنني من أدباء الرمز الذين يستغلق فهمهم على عامة الناس . . . آه . . . فلتكن هذه الحوادث كيت وكيت وكيت ... وعلى هذا النمط الكيميائي الصناعي يسير صاحب الفن العلمي في فنه فيؤلف قصته أو يركبها فيقرأها القارئ وينفق فيها وقته وهو لا يشعر مطلقاً بأن الفنان الذي «عمل» هذه القصة يختلف في كثير أو قليل عن العالم الذي كتب التقرير العلمي صاحب الفضل الأول في تأليفها .

فهل من طبع الفن أن يشبه طبع العلم ؟ لا ... ليس الفن هكذا ولا إنشاء القصة هكذا ...

هوجو ابتأس فأخرج البؤساء . موجو شقي فخلد الشقاء ،

وعرض منه صوراً لا يقول أحد إنه رآها جيماً ، أو أن كتاباً دله إليها ، ولكنه هو أحسها لأن روحه طافت بها . روحه كانت تغادره وتحل فى البؤساء على اختلاف ألوان بؤسهم فتتذوق للبؤس طعوماً مختلفة ليس أقساها بؤس « جان فلجان » اللص الذى سرق رغيف الخبز ، وإنما قد يكون أقساها بؤس « جافير» رجل البوليس الذى كان يتنطع فى مخاصمة « جان فلجان » وتتبعه وإحراجه لا لأنه يمقته ولكن لأنه كان يخشى أن يقصر فى واجبه ، فيكون فى نظر القانون مجرماً وهو ما لم يكن يحب أن يتردى إليه بعد أن أحسن المجتمع تنشئته وقد كان لقيطاً رباه المجتمع ليكون حامياً من حماته

ما أعجب هذه النفس التى عرضها هوجو فى بؤسائه . نفس أصابتها العقد — على حد تعبير العلماء — فأصبحت تتحجر دون الرحمة لأنها كانت تخشى ألا يرحمها أحد ، كما لم يرحمها أب ولا أم. وهذه نفس قد يحللها فرويد ، وقد يحللها سبيرمان أو غيرهما من علماء النفس ولكن تحليلهما وتحليل غيرهما ليسجد أمام هذا الجلال الذى أسبله عليها هوجو الفنان الذى لم يقرأ علم النفس ولا نظريات علم النفس ، والذى كان يعيش بروحه فيحس ويشعر ، والذى لو لم يكن أديباً بطبعه لما أنشأها هذا الإنشاء الرائع ، والذى لو كان موسيقياً لأرسلها لحناً باكياً

الفنون يا أصحاب الفنون يمكن أن يترجم بعضها إلى بعض ، لأنها لا تكون فنوناً إلا إذا كانت من وحى العواطف ، والعواطف لا تستعصى على أى فن. فما هى العواطف التى تتحرك فى نفوس الذين يجرون وراء العلم العاقل والتى تصلح للترجمة إلى بقية الفنون؟ لا شىء إلا عواطف مصنوعة مركبة . أما العاطفة الصادقة فى نفوسهم فهى لا تتحرك إلا نحو غرض من أغراض الطبع والنشر والإذاعة

لا . ليس هذا فناً

وأخيراً . ما الذى يقبل من الفنان أن يكون عليه ؟ ...

لا شىء أكثر من أن يعيش وهو لا يدرى فى نفسه أنه سيخرج فناً ... فليترك نفسه للحياة ، وليسع إلى الصدق ما أمكنه السعى . وليبحث عن الجمال ما أمكنه البحث . ليقرأ ، ولكن عليه أن يقرأ فى صفحات الوجوه قبل أن يقرأ فى صفحات الكتب . عليه أن يلتفت إلى الناس وإلى الحيوان وإلى النبات وإلى الجماد . فليعط كل نفسه لكل ما يحيط به من مظاهر الوجود ... فليماشر هذه الحياة ، وليبادلها الحس ، وليغتبط بكل ما تؤاتيه به من سعادة أو محنة ، وبكل ما يراه فى الناس من خير أو شر ، وبكل ما يطالعه فى الطبيعة من أحسن الصور وأقبحها فهذا وحده هو سبيل الفن ، وليس من الضرورى بعد ذلك أن يكون الفن كتابة أو ألحاناً أو صوراً ... وإنما الفن هو حياة الهدى ... وكم فى جماهير الناس من تقاة فنانين ، وكم فى الفنانين من مرتزقة أو — على الأقل — حائدين !

عزيز أحمد فهمى





من الجزيء إلى الذرة

للدكتور محمد محمود غالي

مستقبل الكون والمبدأ الثاني للترموديناميكا — هـذا المبدأ شيء ورجوع الحياة شيء آخر — اختلاط الجزيئات عملية طبيعية واتحاد الذرات عملية كيميائية — ملاحظة « بروست » — الفكرة الذرية عند « دالتون »

إن ما يستشعره القارئ أحياناً من الصعوبة بينا يتابع هذه الأحاديث عن وصف الكون وما يكتنفه من مظاهر لأمر هين ، بجانب معرفته في النهاية شيئاً جديداً عما يحيط به من أسرار فهذه غاية تكون بلا شك مدعاة لارتياحه

أذكر أن في مارس الماضي عندما كنا نواجه القارئ بأحدث ما نعرفه عن الكون وعن تمدده وابتعاد ما فيه من عوالم بعضها عن بعض ــ حدث أن اضطررنا[1] عند الكلام عن حيز « ريمان » وحيز « لوباتشفسكي » وعند الكلام عن الحيز الطبيعي وفق رأى « أينشتاين » ووفق رأى « دى سيتير » إلى اللجوء إلى مناقشة مسائل لا شك في أن القارئ وجد في إدراكها شيئاً من الغموض — هذا الغموض الذي اضطررنا إليه اضطراراً كان لزاماً علينا أن نذهب إليه كما كان لزاماً علينا أن نخفف على القارئ بعض الشيء فيما تبع ذلك في مقالاتنا عن الكون المتمدد[2] ، ولم يكن في طوقي أن ألج موضوعاً دقيقاً كهذا وأخطو بالقارئ فيه خطوات أخرى دون أن يتخلل حديثي فيه فترة من الراحة

كذلك كان مقالنا الأخير[1] عن الجزيء الذي لجأنا فيه إلى تفسير بعض القضايا التي يلاقي فيها القارئ بعض الصعوبة ، ولم يكن هناك بُدٌّ ، وقد أخذت على عاتقي أن أقص عليه أهم ما وصل إليه الإنسان من تفكير مُنتَظِم ، من أن نذكر فلسفة ليبنز (Leibniz) وألا نغفل رأيه القائل بأن الحرارة هي الحركة ، وألا نغفل أيضاً كيف فسّر بولتزمان (Boltzmann) انتقال الحرارة من جسم حار إلى جسم أقل منه حرارة ، وكيف بين عدم إمكان العملية العكسية .

لقد طالعت المقال السابق بعد نشره أكثر من مرة وأعتقد أن الكثيرين من القراء قد فهموا هذا التفسير لبولتزمان وأدركوا هذا النزول الحتمي في الحرارة كنتيجة حتمية لما يحدث من تعديل في حركة جزيئات الجسمين المتلاصقين ، بحيث لو تصورنا فريقين مزدحمين من لاعبي كرة القدم ، فريقاً سريع الحركة وآخر بطيئها ، اختلطا في فناء واحد فإن النتيجة الحتمية لتصادم الفريقين في أثناء اللعب أن يكتسب الفريق البطيء شيئاً من السرعة ويفقد الفريق السريع جانباً منها ، ولا يمنع هذا وقوع بعض الحوادث الفردية التي تشاهد أثناء اللعب من أن ينقل لاعب بطيء سرعته إلى لاعب سريع الحركة ، إنما النتيجة الحتمية للمجموعة هو اقتراب من تعادل سرعتهما ما دام الصدام مستمراً بينهما .

هذا التفسير البولتزماني مفهوم للقارئ ، ولـكن مما قد لا يستوعبه بالدرجة التي أرغبها هو النتيجة المرتقبة لمصير الكون من أثر هذا القانون الحتمي القائل بالتعادل الحراري ، أي التعادل في حركة جزيئات المادة ، وهي النتيجة التي لخصناها في أن

(١) مقالنا بالرسالة — رسالة من العوالم البعيدة تنبئنا أن الكون ينتشر ــ العدد ٢٩٦ ص ٤٣٦ ــ ٦ مارس سنة ١٩٣٩ ومقالنا ــ الكون يكبر (العوالم منتشرة على حيز كروى محدود ولكنه ينتشر) — العدد ٢٩٨ ص ٥٩٢ — ٢٠ مارس سنة ١٩٣٩

(٢) مقالنا بالرسالة ــ وزن الكون وعدد ما به من ألكترونات ــ العدد ٢٩٩ ص ٦٤٠ — ٢٧ مارس سنة ١٩٣٩ ومقالنا ترى ما وراء هذا الكون ؟ ــ ٣٠٢ ص ٧٨٠ ــ ابريل سنة ١٩٣٩

(١) مقالنا بالرسالة عن فلسفة ليبنز (Leibniz) ــ العدد ٣١٣ ص ١٣٢٤ ــ ٣ أبريل سنة ١٩٣٩

الـكون فى مجموعه — الـكون الذى فيه نسمع ونرى — سائر حتماً إلى خاتمة يسمونها الموت الحرارى ، أو الاقتراب من السكون ، أو — عند ظن بعض العلماء — عدم إمكان عودة أى شكل من أشكال الحياة والحركة . هذه النتيجة توصل إليها العلماء لقلة ما فى الـكون من مادة بالنسبة لمجموع الحيز . هذه الخاتمة التى تتلخص فى التساوى الحرارى مع مرور الزمن نتيجة الانخفاض فى الدرجات المرتفعة ، والارتفاع فى الدرجات الخفيضة، يجعل من الـكون فى مستقبل العمر وعاء لا تصلح الحياة فيه .

وإنما ذكرت للقارئ هذه النتيجة التى يحتمها المبدأ الثانى للترموديناميكا مما يبث الأسف فى نفوسنا ليعرف شيئاً عن تفكير العلماء — هذا التفكير الذى يلجأون إليه نتيجة للمشاهدات والحوادث

كل ما أريد أن أطمئن إليه : هو ألا تؤثر هذه النتائج العلمية على القارئ ، فتزعزعه عن بعض عقائده الموروثة والخاصة بعودة الحياة . تلك الفكرة التى لا تتعارض عندى والمبدأ الثانى للترموديناميكا ، لأننى كما قدمت لم ألجأ فى تعريف الحياة بالحركة بل أعتقد أن ثمة اختلافاً جوهرياً ، وغير مفهوم لنا ، بيننا وبين التفاحة التى نأكلها ، أو المحبرة التى تُملى منها هذا المقال ...

إنما أردت فى مناقشة علاقة المبدأ الثانى للترموديناميكا بمستقبل الـكون أن أوجه نظر القارئ إلى ناحية من مناحى تفكير العلماء : كيف يتسنى أن تكون لمسائل نعتبرها طفيفة نتائج خطيرة على تفكيرنا وفهمنا للـكون ... وله أن يتأمل الآن قليلاً : كيف ، من حقيقة يلمسها كل يوم تتلخص فى أن الجسم الحار يعمل دائماً على تسخين الجسم البارد ، وأن العكس غير صحيح ، يجد العلماء من هذا الموضوع على بساطته منفذاً للحكم على مستقبل الـكون؟

ألآن قطعة من الثلج تعمل على تبريد فنجان من الشاى الساخن بوضعها فيه يسير الـكون فى مجموعه إلى نوع من الموت بلا رجعة ؟! هذا ما يقرره العلم ، فهو يقرر أن من اختلاط وتصادم مجموعتين من الأفراد ، مجموعة دأبها السرعة وأخرى ديدنها البطء ، تنشأ مجموعة جديدة لا هى بالسريعة ولا هى بالبطيئة بل لمجموع أفرادها سرعة متوسطة واقعة بين سرعة المجموعتين

أود أن يستشعر القارئ أنه إذا كانت المشاهدات تدل على هذا التعادل فى الحركة أى هذا التساوى فى الحرارة ، وإذا كانت الرياضة والمنطق يحتمان هذا النوع من التعادل نتيجة لحساب دقيق ، فإن جسيمات الـكون فى مجموعه مصيرها الهدوء وأن الـكون مصيره الموت الحرارى . أما أن تقرر أن الحياة مصيرها فناء بلا عودة فهذا أمر آخر لا تستطيع فى سهولة أن تقبله أو أن نساير العلماء فيه

أجل إنما أردنا أن ندل القارئ على طرائق التفكير الحديث ، كيف تتسلسل المسائل ، وكيف يرتبط بعضها ببعض ، وكيف يتعلق المعقد منها على البسيط ، وكيف يقسمون الظواهر فى منطق العلم إلى ظواهر حتمية وأخرى احتمالية ، وكيف يفرق القارئ بين الظواهر العكسية والأخرى غير العكسية، وكيف، من أبسط المعارف والمشاهدات، نجد سبيلاً للتحدث عن أروع المسائل المتعلقة بعميق الفلسفة ومستقبل الـكون ؟

والآن ننتقل من الـكلام عن الجزىء إلى الـكلام عن الذرة

قدمنا عند الـكلام عن الجزىء[1] أن فكرة تقسيم المادة إلى جزيئات لم تكن حاصل المشاهدات المباشرة بقدر ما كانت حاصل البحث العلمى العميق والوسائل الطبيعية الدقيقة . لئن تكن المادة منفصلة غير متصلة ، أو بعبارة علمية لئن تكن مكونة من جزيئات منفصلة ومستقلة فهذا أمر لم نكن نعرفه بداهة أو مشاهدة، وإنما كان لدراستنا للتطورات الحرارية أكبر الأثر فى معرفته

كذلك لا يمكن بالعين المجردة أن تُقيم الدليل على تقسيم الجزىء إلى ذرات . وكما أن نظرية الجزيئات والاستدلال عليها جاء عن طريق العمليات الحرارية كذلك صادفت النظرية الذرية أى تقسيم الجزىء إلى ذرات مستقلة نجاحها فى العمليات الكيميائية

ففى هذا العلم — الكيمياء — شبت النظرية الذرية وترعرعت، ولقد كان ذلك فى بادئ الأمر راجعاً إلى قانون معروف بقانون النسب الثابتة ظل الأساس الذى بُنيت عليه النظرية الذرية ، وهو يعلمنا الفرق بين المخلوط والمركب الكيميائى :

عند ما نشرب الماء ممزوجاً بقليل من ماء الورد فإنه ليس ثمة حدود تقف عندها درجة المزج للحصول على المزيج . إننا نستطيع أن نحصل على مزيج من الماء وماء الورد بنسب مختلفة فنستطيع أن نجعل النسبة من ماء الورد ١ إلى ١٠ من الماء أو ١ إلى ١٠٠ وهكذا . كذلك عند ما نصنع لوحاً أحمر من الزجاج فإنه بقدر كية اللون التى نضعها فى مواد الزجاج ، وهو فى حالته السائلة وقبل أن يتجمد ، نحصل على لوح تتعلق درجة احمراره بنسبة

(١) تكلمنا عن الجزىء فى « الرسالة » فى أربع مقالات يجدها القارئ فى الأعداد : ٣٠٨ ، ٣١١ ، ٣١٢ ، ٣١٣

ما وضعناه من مادة مُلوَّنة ، ولنا حرية مطلقة فى الحصول على مئات بل وألوف الأنواع من الألواح الزجاجية كلها حمراء ولكن تتفاوت فى درجة الاحمرار . هذه العمليات اختلاط طبيعى بين جزيئات المادة .

ولكن عندما تتحد كمية من الهيدروجين بكمية أخرى من الأكسيجين اتحاداً كيميائياً تحت تأثير شرارة كهربائية ليتكون الماء فإن جرامين اثنين من الهيدروجين يتحدان مع ١٦ جراماً من الأكسيجين ، بحيث لو تعمدنا أن تكون كمية الهيدروجين الموجودة مع كمية الأكسيجين السابقة خمسة جرامات فإن جرامين اثنين يتحدان منها فقط مع الـ ١٦ جراماً من الأكسيجين الموجودة لدينا وتبقى الثلاثة الجرامات الأخرى من الهيدروجين حرة لا تتحد. هذه النسبة الثابتة فى المركبات الكيميائية تختلف كما يرى القارئ عن موضوع مزج الجزيئات الطبيعى الذى يمكن أن نحصل عليه بأى نسبة فى أنواع المعادن Alliages المختلفة « فالبرونز » مثلاً نحصل عليه من النحاس والقصدير بالنسبة التى نريدها ، ولكن الماء نحصل عليه من الهيدروجين والأكسيجين بالنسبة التى تعينها لنا الطبيعة والتى لا تتغير

هذه الأجسام البسيطة كالأكسيجين والهيدروجين التى تدخل كيميائياً فى المركبات المختلفة والتى يمكن بوسائل كيميائية الحصول عليها منفردة مرة أخرى ، عرفها العلماء بالعناصر حيث كان من المشاهد منذ لافوازييه Lavoisier أن كمية معينة من عنصر معين يمكن إدماجها فى عشرات التركيبات الكيميائية كما يمكن الحصول عليها مرة ثانية بحيث لا يزيد وزنها أو يقل مهما كان نوع التركيبات الكيميائية التى دخلت فيها . فإذا كانت الكمية من الأكسيجين التى اتحدت فى المركبات فى بادئ الأمر ١٦ جراماً فإنه من المعروف أننا نحصل دائماً وبالطرق الكيميائية المختلفة على ١٦ جراماً من الأكسيجين وأن هذه الكمية غير قابلة بأى حال للزيادة أو النقصان

كذلك يتكون الغاز الكاربونى Gaz Carbonique من احتراق الفحم فى الأكسيجين بنسبة ٣ جرامات من الأول إلى ٨ جرامات من الثانى، وظلت هذه النسبة هى الأساس فى تركيب الغاز الكربونى بحيث لم يتسنَّ للكيميائيين بوسائل مختلفة وأساليب متباينة (مثل وضع هذه المجموعة من الكاربون والأكسيجين تحت ضغط شديد أو غير ذلك) أن يتحد ثلاثة جرامات من الكاربون مع ٨ر١ جرامات من الأكسيجين مثلاً. وليس معنى هذا أن الكاربون والأوكسجين يتحدان دائماً بنسبة ٣ إلى ٨ فإنه يصح للحصول على مركب غير الغاز الكاربونى أن يتحد ثلاثة جرامات من الكاربون بأربعة جرامات من الأكسيجين ، ولكن الفارق بين الحالتين عظيم . فثمة حالة غير متصلة تختلف عن حالة الخلط والمزج المعروفة فى اختلاط الجزيئات

كان لا بد تحت هذه العوامل والمشاهدات من أن يُعمِّمَ العلماء هذه الوقائع المتقدمة ويحصونها ويدرسونها ، وهكذا توصلوا إلى قانون النسب الثابتة الذى يحدد النسب التى تتحد بها العناصر الكيميائية المختلفة ، هذا القانون المعروف منذ العالم « دالتون Dalton » والذى كان الفضل الأكبر فيه للعالم « بروست Proust » يتلخص فى أن النسبة التى يتحد بها عنصران لا يمكن أن تتغير بحالة مستمرة

وهكذا كان من الصعب ألا نفترض أن هذا الأكسيجين المتحد مع الهيدروجين ليكون الماء استقل دائماً بنفسه وحافظ على استقلاله فى أثناء هذه العملية الكيميائية ما دمنا نستطيع أن نعيده سيرته الأولى[1] وهكذا أمكننا أن نرجح أن هذا الذى نسميه عنصر الأكسيجين كان مستقلاً فى كل المركبات الأكسيجينية التى يمكن أن يدخل فيها مثل الماء والماء الأكسيجينى والأوزون وثانى أكسيد الكاربون والسكر الخ بحيث إذا كان السكر مركباً من جزيئات متشابهة تمام التشابه فإنه من المتعين أن فى كل جزىء من هذه الجزيئات قد دخل الأكسيجين كشخصية مستقلة كما دخل الكاربون والهيدروجين اللذان هما المركبان الآخران للسكر شخصيات أخرى مستقلة . من هنا ومن أمثال ذلك حاول العلماء أن يعرفوا الصورة التى يجب أن تكون عليها هذه المواد الأولية أو العناصر البدائية التى تتفق أجزاء منها تحت عوامل لا محل لذكرها وتتقارب لتكوين جزىء من السكر ، ذلك المولود الجديد والمركب من هذه العناصر المتقدم ذكرها

هذه الملاحظة من جانب « بروست » الفرنسى فى وجود نسب ثابتة بين العناصر عند اتحادها أدت بالعالم الإنجليزى « دالتون » إلى أن يفرض فرضاً ذرياً يمكن أن يجيب على هذه الحالة المتقدمة :

[البقية على الصفحة التالية]

(١) من المعروف أنه بمرور تيار كهربائى فى الماء يتحلل الماء مرة أخرى إلى عنصرين : الأكسيجين والهيدروجين



لصـــــوص الفىء

للأستاذ نديم الجسر

ذكّرنى وصف أستاذنا الزيات لصورة من (صور الماضى) فى مصر بصورة من هذا الضرب المضحك المبكى، حُدثت بها من عهد غير بعيد. فأخذتْ بمجامع قلبى لما فيها من روعة، ولأنها تكاد تكون حقيقة لا أثر للخيال فيها، ولأنها تصدق عندنا على الماضى والحاضر ... ويا للأسف ...

* * *

كنا فى صيف عام ١٩٣٣ فى قرية رِسْبِر، ذلك المصيف الذى عشقه الدكتور فارس نمر، وأعجب به الباشا سيّد البنك المصرى وسيد الأعمال المالية فى بلاد العرب، حتى كاد يفكّر فى إمداده وتمْصيره. وقد اجتمعنا ليلةً على جارى عادتنا فى شرفة الدار التى يتطأمن تحتها وادى سير الفتان، ومن ورائه ينبسط البحر ساجياً وقد ازدان منه (خليج عَرْقَة)(١) الفينيقى بطائفة من قوارب الصيادين تحمل فى مقاديمها مشاعل تبهر الأسماك وتستهويها. فيساعد تجمعها حول القوارب على صيدها. وكانت تلك القوارب تختفى فى ظلمة الليل فلا يبدو منها إلا أنوار المشاعل كصفٍّ من مصابيح نُصبتْ فى شارع طويل؛ حتى كنا نوفّق فى دعاباتنا أحياناً إلى أن نخدع بها طائفةً من زوّارنا فنوهمهم أنها أسكلة (ميناء)

(١) خليج عرقة: هو الخليج الذى كانت مبنية على مقربة منه مدينة عرقة الفينيقية

كل العناصر مكونة من ذرات، ويحدث فى مختلف العمليات الكيميائية المتباينة أن تجتمع ذرات الأجسام وتكوّن كل مجموعة جديدة جزيئات من جزيئات المركب الجديد، بحيث يجوز لذرة من مادة معينة أن تلتصق أو تجتمع بذرة واحدة من مادة أخرى كما يمكن أن تجتمع باثنتين أو أكثر، فالماء مثلاً يتحد فيه ذرتان من الهيدروجين بذرة واحدة من الأكسيجين (إن اجتماع جرامين من الهيدروجين مع ١٦ جراماً من الأكسيجين راجع إلى وزنهما) ذلك أن القوة الكائنة بين هذه الذرات وبعضها هى بحيث أن اجتماعهما فى هذه الحالة اجتماع واحد باثنين، وإذا اجتمعت ذرة واحدة من الهيدروجين مع ذرة واحدة من الأكسيجين تكوّن الماء الأكسجينى الذى نستخدمه فى الجروح بدل الماء العادى الذى نشربه.

هذه الخطوة الموفقة من جانب العالم الكبير دالتون التى مهد لها « بروست » ظلت أساساً للعلوم الكيميائية، وفى آلاف المواد التى نستخدمها والتى هى فى الواقع مركبات من عناصر مختلفة متحدة بنسب ثابتة أو ممتزجة بنسب متباينة أمكن تقسيم العالم المادى إلى ٩١ عنصراً تبدأ بالهيدروجين والهيليوم وتنتهى بالبروتوكتينيوم والإورانيوم. هذه العناصر تقوم لنا كرجع دائم يدلنا على هذه المركبات المكونة لكل ما نراه ونعثر عليه من مادة فى الكون، كما تدلنا الشمس والنجوم الثابتة بمواضعنا المختلفة فى الأفق بالنسبة لنا فى معرفة الوقت نهاراً أو ليلاً

وسنرى فيما سيأتى ما استفاده العلماء من هذا الفرض الذرى ونحاول أن ندرك كنه الذرة وما يجرى بها ونستخلص من أعمال العلماء سيرة ما يحدثونه اليوم فيها من تهدم، ما سيكون له أكبر الأثر فى تقدم معارف الإنسان.

محمد محمود غالى
دكتوراه الدولة فى العلوم الطبيعية من السوربون
ليسانس العلوم التعليمية . ليسانس العلوم الحرة . دبلوم المهندسخانة

طرابلس ، على حين أن الأسكلة تحتجب وراء الجبل ، فإذا عادوا إلينا فى النهار سألوا عن الأسكلة! فقلنا لهم: سرقها الصيادون...

وكنا نتحدث ، كما يتحدث المصطافون فى هذه القرية الهادئة المحرومة مرح المصايف الأخرى فى لبنان بأحاديث تشوبها كآبة الضجر الذى يلازم المكرر الوحيد النغم المملول من كل شيء . وساقنا الحديث إلى ذكر أحوال القضاة ومظالمهم، وندرة (قضاة الجنة) ، وكثرة (قضاة النار) ؛ وكان معنا فى هذه الجلسة سيد القرية ، وهو رجل كثير الصمت طويل الروية ، سليم المنطق بالفطرة الموهوبة لا بالقوة المكسوبة، رقيق الحاشية، لين العريكة، شديد الحذر من إطالة اللسان ، والخوض فى أحوال الناس . لا نشكو من طيب عشرته إلا أنه يتركنا الساعات الطوال نتحدث ، وهو معتصم بالصمت يسمع . فإذا سكن الحوار ، وخمد الجدل، ألقى بكلمة أو كلمتين فيهما زبدة القول وفصل الخطاب ...

وطال حديثنا عن قضاة النار وأحوالهم فقال صاحبنا بعد صمت طويل : هؤلاء يسموتهم عندنا فى الجبل (لصوص الفيء) . قلنا : وما لصوص الفيء ؟ فأغرب فى الضحك وتشبث على عادته بصمت المحترز فما زلنا به حتى رضى أن يحدثنا فقال :

« يحكى أن مكاريا من أهل القرى كان يملك من وسائل العيش بغلاً يكاريه الناس ويعيش من كرائه مع زوجه وأطفاله، فمرض البغل يوماً مرضاً أقعده وأقعد صاحبه عن العمل ، فقام مع عياله فى جانب البغل يداوونه ويدعون له بالشفاء. ولما اشتدت وطأة الداء نذر الرجل على نفسه أن يعطى رجلاً مشهوراً عندهم بالصلاح والتقى والولاية مائة قرش إن شفى الله بغله. ولكن الله لم يتقبل نذره ومات البغل، فبكاه الصغار والكبار ما شاء الله أن يبكوه. وفى اليوم الثانى أخذ الرجل ما يستغنى عنه من متاع البيت فباعه واشترى بثمنه بغلاً آخر . فما كارى عليه أياماً حتى سرت للبغل من المعلف عدوى المرض فقام بجانبه الليل والنهار يصلى ويبتهل وينذر النذور لأكبر الأولياء وأعظم الأبرار ، ولكن البغل مات ولم تنفع فيه النذور للصالحين. فبكاه أصحابه المساكين بكاء الثكالى ثم جمعوا بقية ما فى البيت من متاع فباعوه واشتروا بثمنه بغلاً ثالثاً . وما مضت عليه أيام حتى سرت إليه العدوى، فطاش لب الرجل وضاع صوابه ورأى أن نذوره للأولياء الأبرار الأطهار لم تشفع ولم تنفع، فأصابه ما يصيب كل مفجوع عند هول الكارثة من ذهول وسخرية واستخفاف، فبدا له هذه المرة أن يجعل نذره لأشد الناس شراً ؛ وعظم النذر فجعله ألفاً .

وشاءت حكمة الله أن تكون عدوى المرض خفيفة وأن يقوى عليها البغل الجديد فشفى . وعاد الرجل إلى عمله، فما زال يشتد فى طلب الكسب حتى اجتمع لديه النذر فحمله وهبط به المدينة يلتمس فيها من يستوجبه فعمد إلى أشهر بيت للفسق والفجور وانتحى ناحية يراقب منها الناس حتى اختار أشدهم تهتكاً وأشنعهم فسقاً فاقترب منه وحدثه بحديث نذره ثم قال له والخوف يعقد لسانه :

« لا تغضب يا هذا وارحم ضعفى وذلتى فإنى أردت وفاء نذرى فلم أجد من هو أعظم منك شراً فحق على أن أوفيكه »

فما سمع الرجل مقالته حتى أغرب فى الضحك؛ ثم أطال الصمت حتى أوجس القروى من طول صمته وكآبته شراً. ثم استعبر حتى وجت القاعة الصاخبة لنحيبه، ولما سكنت نفسه قال: «لقد ضللت يا صاح والله بغيتك ؛ وكدت تعطى نذرك من لا يستحقه . فما أنا بأعظم الناس شراً ، وإنما أنا رجل ابتلانى الجبار بذل الشهوات فلا أستطيع إلى فكاك نفسى من أسرها سبيلاً. ولو رأيتنى كيف أمحو نادماً ذليلاً لرثيت لى ولرجوت أن يغفر الرحمن ذنوبى . . . فإليك عنى، وعليك باللصوص وقطاع الطريق فهم أحق بنذر لشمى»

فخرج القروى من الحانة وقد سره أنه وجد ضالته واسترشد برأى (سوقى) يعرف حقائق الأمور ، وما زال يسأل عن قطاع الطريق أين مكمنهم ومن أشدهم فتكا وبطشاً، حتى استرشد. فركب بغله وسار فى حلك الليل حتى أشرف على الكمين الذى يقطع الشرير منه الطريق مع عصبته؛ فما شعر اللصوص بالرجل حتى اكتنفوه فقال لهم: على رسلكم فإنما إليكم قصدت . أين رئيسكم ؟ فدلوه عليه فحدثه بحديث نذره فأطرق اللص إطراق الحزين ، ثم استعبر حتى ابتلت لحيته ثم قال : (إنك يا هذا ضلت بغيتك

فما نحن إلا فقراء عضتنا الفاقة وضاقت بنا سبل العيش فاتخذنا السلب حرفة نكسب منها قوت عيالنا ، ولو وجدنا إلى الرزق سبيلاً غير هذا لسلكناه . ولو كشف الله لك عن قلوبنا لرأيت ألماً وندماً ، ولرجوت لنا عند الرحمن عفواً وكرماً . إذا أردت يا صاح الوفاء بنذرك فدعنا نحن (حرامية الشمس) ، ولصوص التعب والنصب والخوف والخطر واذهب إلى (حرامية الفيء) ؛ فإنهم أحق بنذرك ...)

فقال القروي : ومن هم حرامية الفيء لأذهب إليهم ؟

فقال له شيخ العصابة :

أولئك هم القضاة الذين ولاّهم الله أمور عباده وحكّمهم في الدماء والأعراض والأموال ليقضوا فيها بالحق وجعل كلمتهم هي العليا ، وأنعم عليهم بجاه كبير ورزق كثير وعيش غرير فما رعوا لله في عباده ذمة، ولا في حقوقه وحدوده حرمة، فلا ظالم إلا نصروه ، ولا مظلوم إلا خذلوه ، ولا عرض إلا انتهكوه ، ولا مال ولا وقف إلا أكلوه ...

أولئك هم حراميّة الفيء وأولئك هم شرّ البريّة ...

فرجع القروي المسكين بذل الخيبة وقصد إلى قاضي المدينة فرأى شيخاً يفيض الجلال عن جوانب عمامته ، ويتفجر النور من قسمات طلعته ، ويتقطّر التُّقى من أطراف لحيته ، فقال : يا سبحان الله كيف يكون هذا شرّ البريّة وكيف تتحرك شفتاي بحديث النذْر إليه ؟

وما زال واقفاً حتى انتهى القاضي من القضاء (على) حقوق العباد ، فرآه في جانب القاعة فدعاه إليه وسأله عن حاجته فقصّ عليه قصة نذْره والحياء يعقد لسانه ، فقال له القاضي :

(على المستحق سقطت ... ولكن يا بني نحن لا نستحل أخذ أموال الناس بلا سبب شرعي . والوجه الشرعي الذي يحل لنا به أخذ هذا النذر منك هو أن تقلبه إلى مبايعة ...)

فانتفض الرجل وقال : أستجير بك يا مولاي . إني أخشى إن أخذت منك لقاء النذر شيئاً ألا يتقبل الله نذري ، فقال القاضي : (نحن لا نبيعك شيئاً مذكوراً بل هي صورة نحلل بها أخذ المال منك ... هاك في جانب الباب كوْمة من الزبل هل اشتريتها مني بالألف الذي نذرته ؟) فقال الرجل :

سمعاً وطاعة. وتمّ التعاقد بالوجه الشرعي ... وقبض القاضي الألف وذهب الرجل إلى قريته فرحاً مطمئناً

وبعد يومين أفاق المسكين على صوت طارق يوالي قرع الباب ويستفتح ، فإذا جندي يبادره بالشتم ويقول : (أيها الرجل الخادع الماكر الخبيث الشرير أتشتري المزبلة من مولانا القاضي وتتركها في مكانها فتصبح مجمعاً للذباب ومبعثاً لكريه الروائح ... ؟ لقد حكم عليك مولانا القاضي بنقل المزبلة وبغرامة مقدارها ألف قرش جزاء تركك إياها بعد شرائها وبأن يصادر بغلك لقاء الغرامة ..)

قال الجندي قوله هذا ودخل الدار فاقتاد البغل من مربطه وسار به إلى المدينة. فوجم الفلاح المسكين وجوم من خولط في عقله. وما زال يشيع بغله بعينين دامعتين حتى توارى عن بصره ثم رجع وهو يدمدم قائلاً :

— حقاً إن حرامية الفيء هم شر البرية ؛ وقد أصاب نذري أعظمهم شراً

« طرابلس » نسيم الجسر



هل يظفر الأمير عبد الله بملك فلسطين ؟

[عن مجلة (فى VU) الباريسية]

لا يستطيع الناظر المتأمل مهما أوتى من قوة الفراسة والمقدرة على تحليل النفوس واستنباط ما وراء الوجوه من المعانى والأفكار، إذا نظر إلى وجه الأمير عبد الله أمير شرق الأردن، أن يحكم لأول وهلة أن صاحب هذا الوجه، على الرغم مما يبدو عليه من الهدوء والاتزان، يحمل حملاً ثقيلاً منذ عشرين عاماً

فإذا جلست إليه ورأيته يمسح بكفه على لحيته الصغيرة المنسقة ويتكلم بصوته المهذب الرقيق، لا تصدق أن هذا الرجل بعيد عن الاستمتاع بالراحة

وإذا كانت الدودة الصغيرة تغادر أثراً ما على السنديانة العظيمة، فلا غرابة أن تترك المطامع البائدة، والأحلام الضائعة، أثرها العميق فى نفس الأمير

لقد كان الأمير عبد الله يحلم فى شبابه - وهو ابن شريف مكة فى ذلك الوقت - بحياة ذات مجد حربى عظيم؛ ولكنه خسر أول معركة قادها بجنود أبيه. وإذا كنت ممن يعرفون قوانين الصحراء غير المسطورة، أمكنك أن تعرف مقدار تأثير هذه الهزيمة

إن العرب قد يغتفرون للسارق؛ وقد يتسامحون مع الرجل الذى يقتل أباه، ولكنهم لا يغتفرون جريمة القائد المنهزم بحال من الأحوال

ومما يستحق الذكر أن الأمير عبد الله فى ثورة الصحراء، والحملة التى يقودها لورنس، لم يكن سوى ظل بسيط فى مجرى الحوادث على الرغم مما هو معروف عنه من الشجاعة والذكاء

وإذا كان قد حكم على الأمير بأن يحيا حياة مدنية وإخوانه يخوضون غمار الحروب، فقد وضع آماله فى شىء واحد وهو عقيدته الثابتة بأنه إذا جد الجد وجاء يوم الانتصار سيدعى ولا محالة للجلوس على عرش من العروش التى تقسمها بريطانيا العظمى بعد زوال الإمبراطورية التركية

وما كادت الحرب تضع أوزارها حتى تولى والده الحسين ملك مكة والحجاز، وتولى أخوه الأكبر ملك جده، وتولى فيصل أخوه الأصغر ملك سوريا ثم ملك العراق؛ وبقى عبد الله وحده بغير تاج حتى أتيحت له إمارة شرق الأردن بعد جهد شديد

وتبلغ مساحة شرق الأردن مقدار مساحة إرلندا، ويبلغ سكانها ٣٠٠٠٠٠ نفس يعيش ثلثاهم معيشة الصحراء

وإذا كان قد انقضى عشرون عاماً منذ اتخذ الأمير ذلك الطريق المقفر نحو عمان بدلاً من دخول دمشق وبغداد دخول الفاتحين، فإنه لم يعلن أمنية واحدة من أمانيه التى كان يفكر فيها ولورنس يخترق الصحراء، وهو منذ عشرين عاماً يرمى الطمع لملك فلسطين

وقد أدرك بذكائه وقوة استنتاجه أن العرب واليهود لا يمكن أن يتفقا، وأن هذين الشعبين لا يمكن أن يعيشا معيشة أمان وسلام، وأن بريطانيا لا تستطيع أن تجد حلاً لمشكلة فلسطين يتفق ومصلحة الامبراطورية

وعلى الرغم من الانتظار الذى طالت مدته لم يزل الأمير مصراً على أمنيته العزيزة. وكثيراً ما حرضه أصدقاؤه وأقرباؤه على أن يعبر الأردن بيدوه، ولكنه كان على الدوام يأبى أن يستبق الحوادث ...

وعقيدته أن الحالة فى فلسطين كلما ازدادت تحرجاً كان ذلك فى مصلحته وأدعى إلى تحقيق أمانيه

وإذا كان الأمير قد استطاع أن يكبح جماح نفسه عشرين عاماً، فنحن نعتقد أنه لا يوجد واحد من المشتغلين بالسياسة

فى الشرق الأدنى يظن أن شخصاً فى حالة تقسيم فلسطين سيكون أولى منه بالجلوس على عرشها

ويقال إن هذه الولاية فى تلك الحال سوف تكون مرتبطة بشرق الأردن ، وبارتباطهما تجد بريطانيا حليفة قوية فى الشرق الأدنى ...

هل تحتفظ السويد بحيادها – عن بارى سوار

إن أصوات المدافع التى تدوى فى استكهلم ، وتنقلات الجنود وتدريبها فى عاصمة البلد التقليدى فى الحياد ، مما يدل على أن الثقة بالنازى قد تزعزعت فى تلك البلاد

لماذا تشتغل السويد بتلك التدريبات الحربية ، وقد احتفظت بحيادها مدة الحرب السابقة ؟ هل هى تتوقع أن تكون عرضة لهجوم فى الحرب القادمة ؟

إن الذين لا يتتبعون السياسة السويدية ، قد يذكرون حياد السويد نحو ألمانيا القيصرية فى حرب ١٤ — ١٨ ، ويظنون أن الآريين من السويد يحتفظون بشعورهم نحو المدنية والثقافة الألمانية ، والحقيقة أن تغيراً عظيماً قد حل فى نفوس الرأى العام !

أما المسئول الأول عن هذا التغيير فهو أودلف هتلر . فقد كانت خطة النازى من البدء مثيرة لشعور الحرية والتقدم الاجتماعى فى نفوس السويديين .

وإذا كان الملك جوستاف على الرغم من بلوغه سن الثمانين يعد من رجال أوربا الملحوظين ، فإن السويد الآن يحكمها الاشتراكيون . وقد تقدمت تلك البلاد تقدماً محسوساً ووصلت الصناعة الحديثة فيها إلى درجة لم تصل إليها الولايات المتحدة .

لقد وصل صدى تهديد هتلر إلى تلك البلاد . وقد أشار القائد الألمانى هانشوفر فى إحدى محاضراته باستكهلم إلى أن عدد السكان فى السويد قليل بالنسبة إلى مساحتها ، وأنها تستطيع أن تمنح الأماكن الفسيحة لسكنى ملايين من الناس .

وقد كان فى السويد بعض الفرق النازية ، وكان بها كثير ممن يعتمد عليهم الفوهرير ، وقد أرادت ألمانيا أن تجعل تلك الفرق فرقة واحدة تحت إمرة رجل واحد يدعى (لندهولم) ، ولكن خاب مسعاها ، إذ تبددت تلك الفرق ولم تبق للنازى فرقة واحدة على الإطلاق .

إن إخفاق الهتلرية فى السويد لم يكن فى الحقيقة تعبيراً عن كراهية للألمان ، فإن الارتباطات الجنسية والتعليم يجعلان لألمانيا منزلة فى تلك البلاد ، وإن كان لفرنسا تأثيرها الثقافى الملحوظ .

ولكن الشعور السائد قد انقلب على ألمانيا الآن . وإذا كان للسينما أثرها الكبير فى اسكندينافيا فقد بدأ الألمان يستأجرون كواكب السينما من السويد لنشر دعايتهم تحت أسماء هؤلاء الكواكب ولكن ذهب مجهودهم هباء . فالأفلام الألمانية لا تقابل باستحسان بينما تنجح الأفلام الفرنسية على الدوام

على أن هذا جميعه لا يدل على أن السويد قد فقدت رغبتها فى الحياد ، ولكن من السهل أن يقال إن السويد لا يمد أن تساق إلى حرب ضد ألمانيا

ويقول رجال السياسة بها إن الاستعداد الحربى الذى تقوم به الدول الآن يمنعهم من المهادنة . وأكثر من هذا طلب الذهب والحديد؛ فالسويد تستخرج كميات عظيمة من هذين المعدنين، وإن حديدها النادر أليق من غيره لآلات الحرب . فألمانيا ولا شك تحتاج إلى حديد السويد لعمل السلاح ، وانجلترا وفرنسا تريان من الواجب عليهما أن تمنعا توريده إليها

فإذا هوجمت السويد فسوف تحارب . وكل فرد فيها على أهبة لعمل ما يجب عليه . وإذا كان جيشها ليس بالجيش المعظم فإن لديها ثلثمائة طائرة ، وقد خصص أكثر من ضعف ميزانيتها للتسليح



موسى «عليه السلام»

للغربيين أقوال غريبة فى موسى وعيسى (عليهما السلام)، وفى كونهما. وقد اطلع قراء «الرسالة» الغراء على ما رواه الأستاذ العقاد من مقالة (فرويد)، وللعالم (سلمون ريناك) فى كتابه : Orpheus أرفيوس الذى ألفه منذ أكثر من ثلاثين سنة بحث عن موسى (عليه السلام) أروى منه هذه الأسطر مضافة إلى ماسطره الأستاذ من كتاب «فرويد»، وكلا الرجلين من يهود. قال :

« L'existence de moïse (mosé, peut-être l'egyptien mesu «enfant») n'est pas démontrée par les livres bibliques qui lui sont attribués à tort; nous n'avons pas davantage le droit de la nier; elle est et reste simplement douteuse. Aucun religion n'est l'œuvre d'un homme; mais on ne peut guère concevoire l'essor d'une religion sans l'ascendant d'une volonté puissante d'un génie comme Moïse, saint Paule, Mahomet »(١)

وترجمتها: «إن وجود موسى (ولعل موسى مأخوذ من الكلمة المصرية ميزو بمعنى طفل) لا تؤيده أسفار التوراة التى عزيت إليه خطأ. وليس من حقنا أن نذهب إلى إنكاره. إنه موجود؛ ولكن وجوده سيظل موضع الشك فقط. ليس الدين من صنع الإنسان؛ ولكنا لا نستطيع أن نتصور انتشار دين من غير نفوذ إرادة قوية لرجل من رجال العبقرية أمثال : موسى وبولس ومحمد »

قلت: يشك علماء غربيون فى كثير من أصحاب النِّحل. بيد أنهم لم يتجاسروا أن يطوروا (أن يحوموا) فى شكهم بحضرة سيد الوجود (صلوات الله وسلامه عليه). والإسلامية الصحيحة موحيها واحد أحد، لا كما قالت عبارة ريناك فى سائر الأديان.

***

(١) الصفحة (٢٨٠) من الطبعة سنة ١٩٢٣

لم ينجح أحد !

أعلنت مدرسة الفنون الجميلة العليا هذا العام فضيحة كان يجب عليها أن تتدارك أسبابها أو أن تسترها على الأقل

أما هذه الفضيحة فهى أنه « لم ينجح أحد » من طلبة قسم النحت فى هذه المدرسة هذا العام

وفى قسم النحت بمدرسة الفنون الجميلة العليا أربعة طلاب فقط موزعون على سنى الدراسة المختلفة. ومعنى هذا أن هؤلاء الأربعة هم عدة هذا الجيل للنحت فى مصر. ويلحظ إلى جانب هذا أن المدرسة وقفت عليهم أساتذة أكثر منهم عدداً. فإذا لم تكن مدرسة الفنون الجميلة العليا تستطيع أن تتعهد أربعة طلاب نحاتين فماذا تستطيع أن تصنع ؟!

يقال إن هذه الكارثة الفنية يرجع سببها إلى تنافر بين أستاذ النحت فى المدرسة (وهو سويدى) وبين ناظر المدرسة وصديق له مدرس بها. والناظر وهذا الصديق المدرس مصريان. ويقال إن هذه النتيجة لم تحدث عفواً وإنما أريد بها أن تحجم وزارة المعارف عن تجديد عقد الأستاذ الأجنبى هذا العام، وأن ترفع المدرس المصرى إلى درجة الأستاذية

وإذا كان مما يسعد كل مصرى أن يرى قسم النحت فى مدرسة الفنون الجميلة العليا يرأسه أستاذ مصرى فإنه مما تشمئز منه الإنسانية أن يُعبث فى سبيل الوصول إلى هذه النتيجة بمستقبل أربعة من الطلاب هم كما قلنا عدة الجيل فى هذا الفن

زد على ذلك أن ناظر الفنون الجميلة العليا وصاحبه المدرس المصرى متهمان فى مقدرتهما الفنية. فالناظر لا يحمل شهادات فنية مطلقاً وليس لديه من المؤهلات الفنية إلا أنه رحل إلى الحبشة فى زمن ما ورسم بعض الصور لنجاشيها السابق ورؤوس دولته. وأنه بعد ذلك رجل مهندم يتقن تقليد الفنانين فى حركاتهم وإشاراتهم ومظاهر « العصبية » التى تبدو عليهم والتى استطاع بها أن يقنع

أهل الحكم فى الوزارة السابقة بأنه يصلح لأن يكون ناظراً لأكبر معهد فنى فى مصر

أما صاحبه المدرس فهو رجل من رجال الصناعة أعدته ثقافته وأهله تعليمه لأن يكون مدرساً للصناع فى مدرسة الفنون التطبيقية لا أستاذاً للفنانين فى مدرسة الفنون الجميلة العليا وشتان ما بين الصناعة والفن

وأنا أكتب هذا وقلبى يتمزق لأنى أنصر به أجنبياً على مصريين، ولكننى أفضل هذا على التدليس باسم الوطنية الشفوية. ولا ريب أن الاعتراف بالضعف مع السعى إلى استكمال أسباب القوة خير من المغالطة والادعاء وإنكار الحق

والآن، ماذا تصنع وزارة المعارف فى مدرسة الفنون الجميلة ... إنه يحدث فيها أكثر مما ذكرناه ...

ع . أ . ف

الفن المنحط

تألفت فى مصر جماعة من الفنانين سمّت نفسها « جماعة الفن المنحط » وهى اليوم فى طريقها إلى التفرق والتحلل لأنها لم تجد عند الفنانين والصحافة والجمهور ما كانت ترجوه من تشجيع ، إذ لم يزرها فى دارها بشارع المدابغ كاتب ولا صحافى ولا زائر عادى يستمع إلى دعوة أفرادها

« والفن المنحط » الذى تدعو إليه هذه الجماعة لا يمكن أن يقال إنه منحط فعلاً ما دام يجد من يقول عنه إنه فن . إذ أنه لا يمكن أن يكون الفن فناً ومنحطاً فى الوقت نفسه إلا إذا كان كاذباً . فالفن هو نتاج الحس لا الفكر . ومتى توفر فيه الصدق فإنه سام رفيع ، ولا يفسده شىء ولا يخفض من شأنه شىء إلا أن يكون تكلفاً ، فهو عندئذ ليس فناً وإنما هو تهريج وتجارة . وإذا دعا شاعر إلى الفسق فى شعره وحسّنه للناس وزينه لأنه يحبه ويجد فيه لذته النفسية، ولأنه يعبر عن هذا الذى يجده تعبيراً صادقاً فلا ريب أن فنه يبهر القارئين لأنه ينفذ من نفسه إلى نفوسهم فإما أن يرضيها وإما أن يؤلمها ويسخطها . وكذلك الرسام المعجب بالأجسام الذى يصور محاسنها ولو فى أوضاع يستقبحها العرف وتزورُّ عنها التقاليد والآداب العامة فهو عند الفن ناجح وقادر وعال ما دام يتذوق هذا الذى تستقبحه التقاليد والآداب ويعبر عنه صادقاً فى تذوقه وتعبيره

فإذا تصدى شاعرنا للمعانى الروحية المجردة التى لا يحبها هو ولا يتذوقها وأراد بتعرضه لها أن يجارى أصحابها وأن يقال عنه إنه ملهم روحانى متصوف فإن فنه سينحط ويضعف لأنه سيحتاج فى إخراجه إلى الكذب والتزييف والتزوير . وكذلك رسامنا إذا انحرف عن مزاجه الخاص إلى تكلف ما لا تلتفت إليه نفسه من الجمال الروحى لغرض من الأغراض فإنه يكون عندئذ كاذباً ومنافقاً ويكون رسمه منحطاً حقاً

فإذا كانت جماعة الفن المنحط قد تألفت من أفراد صادقين فى شعورهم وتعبيرهم ففنهم رفيع من غير شك مهما تواضعوا وقالوا إنه منحط . أما إذا كانوا يتكلفون هذا الانحطاط ففنهم منحط حقاً لا لشىء إلا هذا التكلف ...

ع . أ . ف

اختصاص المجمع اللغوى فى رأى المكتب الفنى

كانت وزارة المعارف قد وكلت إلى مكتبها الفنى دراسة اختصاص مجمع فؤاد الأول للغة العربية والنواحى التى يتناولها هذا الاختصاص ، فدرس المكتب هذا الموضوع من مختلف وجوهه ، ورفع مذكرة وافية بشأنه إلى معالى الوزير تحدث فى بدايتها عن المجامع العلمية اللغوية فقسمها ثلاثة أقسام هى : المجامع العلمية ، والمجامع اللغوية والأدبية ، ومجامع الفنون ؛ وأشار إلى ما تؤديه كل طائفة من هذه المجامع فى مختلف الممالك فى العصور الحديثة ، فتكلم عن مهمتها فى إيطاليا ، وبلجيكا ، والدنمارك ، وانجلترا وأرلنده ، واسبانيا والبرتغال ، والروسيا ، وعن طبيعة الأعمال التى تنهض بها . ثم انتقل إلى المجمع المصرى فأتى بنبذة عن نشأته وأغراضه التى حددها مرسوم إنشائه ، وعرض بعد ذلك آراء كبار الكتاب الذين طرقوا هذا الموضوع فى الصحف السيارة وفى داخل البرلمان

وقد رأى المكتب الفنى أن مثار الخلاف فى الرأى هو اختصاص المجمع اللغوى المصرى ، مع أن اختصاص أي مجمع قد يتسع فيشمل الكثير من النواحى العلمية والفنية واللغوية ، وقد يضيق هذا الاختصاص فينحصر فى علم أو فن أو فى ناحية من أحدها ؛ وذكر أن اختصاص المجامع اللغوية مركز فى وضع المعاجم اللغوية والتاريخية، وفى وضع الاصطلاحات العلمية والفنية، وأنه يجب ألا يقتصر عمل المجمع على تسجيل الألفاظ التى تستقر فى التداول ، كما أنه لا ينبغى أن يعهد إلى الهيئات العلمية والفنية بالانفراد فى وضع الاصطلاحات ، وإنما يجب أن يتعاون المجمع مع العلماء والفنيين فى الوصول إلى تحقيق هذا الغرض ، بأن يطلب

إلى كل منهم — كل فى دائرة اختصاصه — أن يقدم إنتاجه اللغوى ، ثم يجتمع اللغويون فى مؤتمرات سنوية أو نصف سنوية لفحص هذا الإنتاج ودراسته رغبة فى الوصول إلى اختيار الألفاظ الصحيحة والتراكيب السليمة التى تقابل ، فى دقة ووضوح ، المعانى المطلوبة مع موافقتها لروح اللغة وأصولها

وكذلك يتركز اختصاص المجامع فى دراسة اللهجات القديمة والحديثة ، إذ هى أساس اللغة وقوامها ؛ فلا غنى عن دراستها

وأشار المكتب فى مذكرته إلى ضرورة الاقتصار فى الوقت والمجهود من هذه الدراسة . أما الدراسة الواسعة المستفيضة بلهجات قديمة فإنها من شأن هيئات أخرى تتولاها

وقال فى صدد دراسة اللهجات الحديثة : إن أهميتها تقوم على أنها تتصل بالحياة مباشرة ، فهى لغة الكلام والتفاهم ، وإنه مما لاشك فيه أن هذه اللهجات أقوى من حيث استعمالها وانتشارها وقربها إلى الأذهان ، فلا يجوز إذن إهمالها أو التجاوز عنها ، لأن دراستها توضح ما طرأ على اللغة الصحيحة من التغييرات والانحرافات فى كثير من الألفاظ والتراكيب .

ثم ذكر أن إحياء الأدب العربى أو التشجيع عليه يحسن أن تتولاه هيئات أخرى غير المجمع اللغوى مثل الجامعة ووزارة المعارف ودار الكتب والجمعيات العلمية وهيئات الترجمة والنشر .

وأشار إلى أهم التعديلات التى يجب أن يؤخذ بها ، وهى أن يزاد عدد أعضاء المجمع العاملين إلى ثلاثين عضواً من العلماء المعروفين على ألا يزيد الأجانب منهم على عشرة ؛ وأن يتألف المجمع من هيئتين إحداها مؤتمر المجمع ويتكون من كامل الأعضاء ، والأخرى مجلس المجمع ويتكون من الأعضاء المقيمين فى مصر .

عناية مدير بلدية الإسكندرية بأسرة المرحوم فليكس فارس

عرض صاحب السعادة مدير بلدية الأسكندرية العام على القومسيون الإدارى فى جلسته يولية مسألة مكافأة المرحوم الأستاذ فليكس فارس كبير مترجمى البلدية ، فذكر أنها ضئيلة نظراً إلى أن مدة خدمته كانت قليلة ، ولكنه خدم البلدية بإخلاص ونشاط ، كما كانت له خدمات صادقات للأدب والعلم . وقد ترك أسرة مؤلفة من أرملة وثلاثة أطفال صغار . ثم اقترح المدير منحهم معاشاً شهريًّا عدا المكافأة التى كان يستحقها . فوافق القومسيون على ذلك وقدر هذا المعاش بعشرة جنيهات فى كل شهر . وهذا العمل من صاحب السعادة المدير يستحق أجزل الشكر وأجمل التقدير .

اللورد لويد والإسلام

ألقى اللورد لويد خطبة فى اجتماع عقد بلندن فى الأسبوع الماضى قال فيها : يجب على الحكومة ، حينما تبحث المسألة الفلسطينية أو مخاوف مسلمى الهند من الاضطرابات التى يثيرها الهندوكيون ، أن تبحثها على ضوء الاعتبارات التى شهدناها فى العشر أو الخمس عشرة أو العشرين سنة الماضية والتى تدلنا على أن العالم الإسلامى دخل فى مرحلة جديدة بقوته المتزايدة وبكل ما يتضمنه الدين الإسلامى العظيم من قوة ، مضافاً إلى التعاليم الحديثة .

وختم اللورد لويد خطبته قائلاً : « إن تطوراً جديداً قد طرأ على العالم الإسلامى وهو تطور يجب أن نحسب له حساباً دقيقاً »

حول الجناية على الأدب العربى

حضرة الأستاذ الجليل صاحب « الرسالة »

تحية وسلاماً . وبعد . فإننى على فرط إعجابى بالدكتور زكى مبارك وتقديرى لآثاره الأدبية لم أرض منه هذا الضرب من النقد الذى يتناول الشخصيات دون الآثار ، ويدافع عن الأدب من طريق الجناية على الأدباء . ولو أن نقاد الأدب العربى اتبعوا الطريق التى اختطها الدكتور اسماعيل أحمد أدهم فى رده على الدكتور بشر فارس (عدد الرسالة ٣١١) ، أو النهج الذى سلكه الأستاذ عبد المنعم خلاف فى مقاله « النبوة – الوحى – المعجزة » رداً على مقال نشرته مجلة «الأمالى» (العدد ٣١٠ من مجلة الرسالة) لكان النقد – كما يرضاه الأدباء – أداة صالحة لتوجيه الأدب الصحيح ولتنقيته من أدران الضعف وشوائب الخطأ .

ولعمر الحق إن هذه الطريق التى سلكها الدكتور زكى لملتوية شائكة . بل هى ضرب من الجناية على الأدب ما كان أجدره أن يتحاماه .

إن من أهم مميزات النقد الذى يجعل الإصلاح الأدبى هدفه

ومرماه، اللفظ اللين والنقاش الهادئ والحجة الدامغة مع احترام صاحب الرأى المنقود وعدم التعرض لشخصه . فإن كان صاحب الرأى صادق النية نزيه القصد فيما كتب فليس عليه من ضير أن يُنْتَقَد؛ أما إن كان سيئ النية نفى القصد، والنقد كفيل بإظهار كل خبيئة ، فحسبه ما يجر على نفسه من تفنيد الرأى وتسفيه الحلم وما يتبع ذلك من هبوط سعره فى سوق الأدب وأوساط المجتمع « وعلى نفسها جنت براقش »

(الخرطوم) محمود أحمد عبد الحميد

هل فى الحيوان غريزة الغيب ؟

قرأت فى الرسالة رقم ٣١٢ المقال الممتع الذى كتبه الأستاذ عزيز أحمد فهمى فكان أعجب شىء التفت إليه نظرى وامتلأ به تفكيرى هو ما أورده من تلك الظواهر التي تميل إلى القول بوجود إدراك الغيب عند الحيوان . فقد عاد بى قوله هذا إلى ذكر ليال خلت ، أيام كانت فلسطين تتهيأ لتقوم بثورتها الكبرى . ويا لها من ليال كانت تملأ قلبى فزعاً وهماً !

حينما يسجو الليل ، ويهجع السامر ، ويخشع كل جرس ، كانت تقوم « وهوهة » حزينة فى جبل النار يرجعها بنات آوى كترجيع النائحات ، فما كان يخيل إلى ساعتئذ إلا أن فى كل بيت من بيوت البلدة مناحة قائمة . وشد ما كنت أتشاءم من ذلك الشدو الذى ينتابنى لدى ظهور تلك الأصوات الكئيبة الباكية ! فقد كان يذهب بى خيالى إلى أن هذه الأصوات طبيعية بالنسبة إلى ذلك الحيوان، ولكن أذنى تحولها إلى تلك الصورة الكئيبة إيذاناً بمصيبة ستلم بى لا قدر الله

وهكذا لم تكن بنات آوى لتخطئ مواعيدها فى كل ليلة؛ ولم يكن خيالى ليخطئ فى تصوير أبشع ما يتوقعه المرء من شر وسوء

وكانت الثورة ، وما أدراك ما الثورة ! فطاحت رؤوس ، وتمزقت نفوس؛ وإذا البلدة لا تمضى عليها ساعات معدودة فى كل يوم دون أن تفجع بحبيب إليها أثير لديها . وكان القوم يوارون الضحايا فى سفح جبل النار مثنى وثلاث

ونظرت ... وإذا الله يستبدل بمناحات الأمهات ، والزوجات، والأخوات، بمناحات بنات آوى . فالأصوات هى هى بعينها ، والوحشة تملأ البلدة فى وضح النهار فضلاً عن الليل . وذهبت نفسى حسرات، وتصاعدت آلامى المكبوتة زفرات . وما كانت لتطلع الشمس أو تغيب فى كل يوم إلا على مأساة من هذه المآسى

وها قد انتهى أمر الثورة . وها أنا أصيخ بسمعى فى كل ليلة عساى أسمع تلك الوهوهة الباكية ، أو تلك المناحات التى كانت تقيمها بنات آوى فما أسمع صوتاً ولا ركزاً .

« نابلس » فدوى عبد الفتاح طوقان

قواعد العربية الفصحى

هذه ترجمة عنوان الكتاب الذى أخرجه فى الشهر الماضى الأستاذان (جودفروا دومامبين) من أساتذة اللغة العربية فى السوربون سابقاً ، و (بلاشير) أستاذ اللغة العربية فى المدرسة الوطنية للغات الشرقية فى باريس . والكتاب يتناول فى نحو خمسمائة صفحة ، الصرف والنحو بالتفصيل والتمثيل . ومزيته أنه مؤلف على أسلوب حديث مغاير لكتب قواعد العربية المنشورة باللغات الأفرنجية ولا سيما الفرنسية . وبالأسلوب الحديث نعنى ما وصل إليه علم اللغة فى هذا العهد من طريق مراجعة أصول فقه اللغات الهندية ـ الأوربية ، ومن طريق النظر فى مذاهب اللغات السامية

والكتاب مطبوع فى باريس واسم الناشر G. P. Maison-neuve وعنوان الكتاب Grammaire de L'Arabe Classique



حول مناظرة وكتاب

نقد ومراجعة

للدكتور بشر فارس

شيء واحد لفت نظري فيما كتبه — في العدد الماضي من الرسالة — الأستاذ إسماعيل أحمد أدهم خريج جامعة موسكو لسنة ١٩٣٣ كما جاء في مجلة الحديث، حلب ١٩٣٨

وأما الذي يكتنف ذلك الشيء من الكلام المرتجل ارتجالاً فلا شأن لي به . وقد أخبرت القارئ من عددين أن قلمي لا يقوى على مجاراة غيره في ذلك الضرب من الكلام . ولولا غضبي للعلم الحق وغيرتي على النقد الصحيح ما كتبت هذا الفصل

قال الأستاذ أدهم : « إن الجملة الفرنسية Une somme de rapports sociaux التي تنظر إليها العبارة العربية ليست من خلقه (يعنيني) ، فقد تكرر ذكرها في كتابات العالم الاجتماعي دوركايم Durkheim وخصوصاً في مجموعة محاضراته عن علم الاجتماع في السوربون : ص ١١ ، ١٣ ، ٢٤ ، ٢٦ مثلاً »

بهذه العبارة يريد الدكتور أدهم أن يقيم البرهان على أن تلك الجملة الفرنسية التي « ليست من خلقي » قد وصلت إلى علمه قبل قراءة كتابي « مباحث عربية » . وإني لأرى الأستاذ أدهم يتقول عليَّ : فإني لم أقل قط إني « خلقت » تلك الجملة الفرنسية ، إذ أني في « مباحث عربية » (راجع ص ١٦) أضع الاصطلاحات العربية — من طريق المطالعة أو الاجتهاد — ثم أثبت إزاءها ما ينظر إليها في اللغات الإفرنجية ، وذلك رغبة في إغناء لغتنا (وهل أنا أغني لغات الفرنجة ؟) . وعندي أنه كان يغني الأستاذ أدهم عن عبارته المذكورة أن يثبت لنا الجملة التي استعملها في « مجلة المعهد الروسي للدراسات الإسلامية » — وذلك على وجهها — ولكنه لم يفعل بل لم يبعث إلى بالمجلة كما رجوت منه . وكان بودي أن أرى كيف استعمل المصطلح العربي الخاص بعلم الاجتماع دون غيره ، الموضوع في كتابي وضعاً فلسفياً

ومن الظريف أن يذهب الأستاذ أدهم في إقامة برهانه إلى ما لا نرضاه له . فقد استشهد على وجه التخصيص بـ « مجموعة محاضرات دوركايم عن علم الاجتماع في السوربون » ثم عيّن فقال: « ص ١١ ، ١٣ ، ٢٤ ، ٢٦ » ثم تلطّف فقال : « مثلاً »

والذي في الحقيقة أن دوركايم استعمل هذه الجملة غير مرة ، وكذلك تلامذته وتلامذة تلامذته ، وعلى الأستاذ أدهم التفتيش . غير أن دوركايم لم يستعمل هذه الجملة في « مجموعة محاضراته عن علم الاجتماع في السوربون » ، وذلك بالرغم من الكلمة : « مثلاً » التي جرت على قلم الأستاذ أدهم ، وفيها ما فيها من قوة الإيهام

إني لم أسمع قط بـ « مجموعة محاضرات دوركايم عن علم الاجتماع في السوربون » ، مع أني قرأت كتب دوركايم — وهي غير كثيرة — راضياً أو كارهاً ، وأنا أحصّل علم الاجتماع على ألوانه — فيما أحصل من فنون الفلسفة — في السوربون نفسها ، وذلك زهاء سبع سنين . وقد سألت اليوم زميلي في التحصيل في السوربون ، الصديق الدكتور علي عبد الواحد وافي — مدرس علم الاجتماع بكلية الآداب لجامعة فؤاد الأول — هل يعرف تلك « المجموعة » ؟ فأخبرني قال : « لا وجود لها » . أضف إلى هذا أن بين يدي الآن كتاباً فيه ثبت المؤلفات في علم الاجتماع (ولاسيما التي تهم الطالب ، وأي شيء يهم الطالب مثل المحاضرات ، بل محاضرات دوركايم وهو إمام مدرسة علم الاجتماع الحديث في

فرنسة؟). وهذا الكتاب عنوانه : Le guide de l'Etudiant en Sociologie، وليس فيه ذكر لتلك « المجموعة » . واعلم أن هذا الكتاب مطبوع فى باريس ثمانى سنين بعد وفاة دوركايم فضلاً عن أن أحد صاحبيه من تلامذة دوركايم نفسه ، واسمه Bouglé ، فهو أعلم منا بما أخرج أستاذه لطلاب علم الاجتماع

هذا إلا إذا خرجت تلك « المجموعة » فى موسكو حيث تلقى الأستاذ أدهم شتى العلوم . فرجائى منه إذن أن يعين لى «المجموعة» بحيث يثبت العنوان الفرنسى وتاريخ الطبع ومكانه . فإنى جد حريص على أن أخبر أساتذتى وزملائى من علماء الاجتماع بوجود تلك «المجموعة» ؛ وما أظنهم إلا ناشطين لها، وما إخالها إلا واقعة موقع الحدث

***

ولعل تلك « المجموعة » - وكلها سر - موجودة على خلاف ما أقوله وما يقوله صديقى الدكتور على عبد الواحد وافى ، وعلى خلاف ما جاء فى الكتاب المتقدم ذكره . فتكون القصة أن الأستاذ أدهم لم يحسن نقل عنوان الكتاب من الفرنسية إلى العربية ، وذلك لسببين :

أما الأول فلأن العربية ليست « لغته الأصلية » ، كما قال فى العدد السابق من الرسالة حين أخذ يعتذر إلىّ من اقتباس تعبيرات لى[1] .

وأما السبب الثانى فلأن علمه باللغة الفرنسية لا ييسّر له مثل ذلك النقل . وقد ذكرتُ هذا وعلّلته مكرَهاً ، لعددين مضيا ، فردّ الأستاذ أدهم قال : « إن اللغة الفرنسية ليست وقفاً علىّ »

معاذ الله أن تكون الفرنسية وقفاً على ! غير أنى ماذا أصنع وفى نقد الأستاذ أدهم لكتابى « مباحث عربية » ما يؤيد ما ذكرته من عددين ؟ فنى رأى الأستاذ أدهم (راجع الرسالة العدد ٣١١ ص ١٢٢٩) أن استعمالى لفظ « السلوك » لأحد مشتقات المصدر الفرنسى (وهو moralité) تارةً ، ولفظ « الأخلاقيات » لمشتق آخر للمصدر نفسه (وهو morale بمعنى éthique) تارةً أخرى مما « يوقع فى اللبس والاختلاط » . والواقع الذى أثبتُه على كُرهٍ أن الأستاذ أدهم لم يدرك الفرق القائم بين اللفظين الفرنسيين : moralité و morale (راجع « مباحث عربية » ص ٣٦ ، ٥٦ خاصة) ، فالأول يدل على أعمال المرء من الناحية «الأخلاقية»، والثانى يفيد«علم الأخلاق». وحسب الأستاذ أدهم أن يستفسر معجماً فرنسياً للمدارس ذينك اللفظين .

ولك أن تقول : فإذا شقّ على الأستاذ أدهم أن يحسن النقل من الفرنسية إلى العربية فكيف ارتجل مصدراً ارتجالاً ثم استشهد به وأثبت بضع صفحات « على جهة التمثيل » ؟

الحق أنى أود أن أجيب عجبَك ، ولكن ما قولك فى هذا الاختلاق :

قال الأستاذ أدهم فى نقده لكتاب «مباحث عربية » (الرسالة العدد ٣١١ ص١٢٢٩) : «يَعتبر الباحث (يعنينى) كلمة البصيرة مقابلاً (كذا) intuition ص ٢٢٥٧ ، والغريب أنى لم أثبت كلمة intuition إزاء كلمة البصيرة الواردة فى ص ٥٧ من كتابى ولا فى صفحة غيرها . فمن أين جاء الأستاذ أدهم بكلمة intuition وكيف جعلنى « أعتبر » ما يجهل هل أنا « معتبره » ؟

ثم لِمَ لا يرتجل الأستاذ أدهم المراجع ويبتدع المصادر، وهو الذى استشهد بالإصحاح الرابع عشر من « سفر دانيال» من العهد القديم (الكتاب المقدّس) ثم بالجزء الثالث من « الفهرست » لابن النديم ، يوم نقد « مباحث عربية » (الرسالة العدد ٣١٢ ص ١٢٧٤ ثم ص ١٢٧٥) . وإليك بيان ذلك :

أولاً — قال الأستاذ أدهم : « ومما يحسن بى الإشارة إليه أن كلمة المروءة وردت فى اللغة العبرية ، وهى من أخوات اللغات العربية ، نازعةً فيها لمعنى السيادة (دانيال ١٤ — ١٩ وصرماوزا

(١) ومن مقتبساته الأخيرة أنه هجم على ما قاله الدكتور زكي مبارك فى الأستاذ أحمد أمين (الرسالة العدد ٣١٠ ص ١١٤٠ الفقرتان الأوليان) وصبه على تمسوحنا فى فاتحة مقاله الأخير . وأسفى شديد أنه أخطأ المرمى ، إذ البصير بمواقع ألفاظ لغتنا اللطيفة يعلم أن الكتابة « المرتجلة » ليست موضع مدح ، وعلى ذلك فانى أشكر للأستاذ أدهم نفيه إياها عنى . ومثل هجوم الأستاذ أدهم على ما قاله الدكتور زكي مبارك فى الأستاذ أحمد أمين ثم صبه على كثل هجومه على مذهبى فى مسرحيتى « مفرق الطريق » وصبه على مسرحيات الأستاذ توفيق الحكيم . ذلك أسلوب من النقد طريف ! ولعل سره عند الأستاذ أدهم ، فهو صاحب تحقيقات خاصة به : منها جزمه أن الأستاذ توفيق الحكيم ولد سنة ١٩٠٣ لا سنة ١٨٩٨ كما يقول الأستاذ الحكيم نفسه ويؤكد . إلا أن الأستاذ أدهم يحتج بأن ما يقوله الأستاذ الحكيم ويؤكده « لا يتفق مع هيكل التحقيقات التى قام هو بها » (راجع هذه القصة النادرة فى مجلة الحديث سنة ١٩٣٩ ص٢٣٢)

فى ملتقى اللغتين ج ١ ص ٨٩ — ٩١) »

والذى فى كتاب « ملتقى اللغتين : العبرية والعربية » للأستاذ مراد فرج : « مرا : فتح فكسر ممال ممدود بمعنى السيد وولىّ الأمر — دانيال ١٤ — ١٩ والأصل العبرى ١٦ » (يريد ، على أسلوب جمهور العلماء : الإصحاح ١٤ والآية ١٩ فى الأصل العربى والآية ١٦ فى الأصل العبرى)

ومن المستحيل أن يكتب الأستاذ فرج : الإصحاح ١٤ (الرابع عشر) ، لأن «سفر دانيال» اثنا عشر إصحاحاً فقط ! ومن هنا تبين لى أن الإصحاح ١٤ من غلطات الطبع . فسألت فى ذلك زميلى الدكتور مراد كامل — مدرس اللغات السامية بكلية الآداب لجامعة فؤاد الأول — فأخبرنى بعد المراجعة قال : « إن الصواب هنا : الإصحاح ٤ (الرابع) والآية ١٦ و ٢١ »

وهكذا ترى كيف جاء الأستاذ أدهم ونقل ما فى كتاب الأستاذ فرج من غير تحقيق ولا روية . والظريف أنه استشهد بسفر دانيال أوّل ما استشهد ، إذ قال : « كيت وكيت : دانيال ١٤ — ١٩ ومراد فرج فى ملتقى اللغتين ج ١ ص ٨٩ — ٩١ » كأنه اطلع على سفر دانيال قبل « ملتقى اللغتين » لفرج

ثانياً — قال الأستاذ أدهم — عند الكلام على أنساب العرب — : « ولكنا على الرغم من ذلك ، نلاحظ جواز أن تكون القبيلة منشؤها اجتماع عدة بطون وأفخاذ من قبائل مختلفة : ابن حزم نقلاً عن الفهرست لابن النديم ج ٣ (كذا) ص ١٨٧ — والمراجع العربية تروى أن قبائل تنوخ وغسان والعتق تكونت من شتيت البطون التى تناثرت فى الصحراء من القبائل العربية التى تفرقت بعد تركها مواطنها فى الجنوب : الفهرست ج ٣ (كذا) ص ١٨٧ وكذلك لنا (يعنى كتاباً له) : علم الأنساب العربية ص ١٣ — ١٤ »

على هذا النحو ترى الجزء الثالث (؟) من « الفهرست » لابن النديم يُثبَت مرتين على سبيل المرجع . وليس للأستاذ أدهم أن يستنجد بغلط الطبع ، إذ فى كتابه الذى ذكره : « علم الأنساب العربية » : (مجلة الحديث ، حلب ١٩٣٨ ص ١٤) ما جاء فى نقده حرفاً بحرف .

هذا والمعلوم أن « الفهرست » لابن النديم طبع مرتين : مرةً فى ليبتسج Leipzig سنة ١٨٧٢ ، ومرة فى مصر سنة ١٣٤٨ للهجرة . وفى كلتا المرتين خرج « الفهرست » فى جزء واحد . والذى حدث فى هذا الموطن أن الأستاذ أدهم اقتبس المرجع إلى « الفهرست » من كتاب من الكتب الحديثة من غير أن يراجع المظِنّة ، دأبه مع « سفر دانيال » . ولو راجعها لعلم أن الكلام على الأنساب يقع فى « المقالة الثالثة » (« الفن الأول : فى أخبار الأخباريين والنسابين ... ») من كتاب الفهرست ، لا فى الجزء الثالث منه . ومن هنا يتبين أنه ظن المقالة جزءاً لحظةَ اقتبس المرجع . وأما الصفحة التى يعيّنها (ص ١٨٧) فلا أثر فيها لما يذكره . بل إنى قرأت الفن الأول من « الجزء الثالث » كله (طبعة مصر ، وهكذا للأستاذ أدهم أن يقول أن حديثه فى طبعة ليبتسج !) ولم أعثر على حديث الأستاذ أدهم .

وأما قوله فى مرجعه : « ابن حزم نقلاً عن الفهرست ... » فغاية الاشتباه . لأنه إذا قال ابن حزم من غير تعيين أراد صاحب « الفصل فى الملل والأهواء والنحل » . وعليه فلنا أن نسأل الأستاذ أدهم أى كتاب لابن حزم يعنى ، ولابن حزم المولود سنة ٣٨٣ (أىّ ست سنوات بعد تصنيف الفهرست) ستة وثلاثون مؤلَّفاً ؟ راجع : بروكلمن « تكملة تاريخ الآداب العربية » ليدن ١٩٣٧ ج ١ ص ٦٩٤ — ٦٩٧ . ثم إنى أعلم أن لابن حزم كتاباً لا يزال مخطوطاً ، عنوانه : « جمهرة النسب » ، وقد نَشَر جانباً منه Khuda Bukhsh فى كتابه: Contributions to the History of Islamic Civilization فهل يعنى الأستاذ أدهم فى مرجعه ذلك المخطوط ؟ وإذن فأين اسم الكتاب وأين الصفحة ، كما يصنع الناقد الثبت والباحث الثقة ؟

وغاية القول هنا : أين الجزء الثالث من الفهرست ، وأين النص المستشهد به فى ص ١٨٧ ، بل فى الفن الأول من المقالة الثالثة من الفهرست ؟ ثم من ابن حزم هذا ، وما كتابه ؟

***

إنى والله ليَحزننى أن أثبت كل ذلك ، ولَيزيدنّ فى حَزَنى أن الأستاذ أدهم حدّثته نفسه بأن يكتب : «وأظن أن الدكتور بشر فارس لا ينكر علينا أننا أكثر الكاتبين فى العربية استقصاء

للمصادر » (الرسالة العدد ٣١١ ص ١٢٢٥) . فليطمئنَّ الأستاذ إلى أني لا أنكر عليه ذلك ، وليطمئن أيضاً إلى أن « الكاتبين في العربية » لن ينازعوه الغلبة في استقصاء المصادر على طريقته . إنما العلم دقة وأمانة . . .

وإذا امتد الحديث إلى استقصاء المصادر فما ضرَّ الأستاذ أدهم لو راجع معجمات الفلسفة وكتبها حين تكلم على كلمة intuition في نقده لمباحث عربية كما تقدم . فقد قال : « وهذا (أي : الانتقال دفعة واحدة من المبادئ إلى النتائج) ما يفيده معنى لفظة intuition اصطلاحياً ولغوياً كما يستفاد من مراجعة معاجم اللغة الفرنسية »

فهل يصاب المصطلح الفلسفي على وجهه التام والخاص جميعاً في « معاجم اللغة » ؟ إني هنا أرشد الأستاذ أدهم إلى « المعجم الاصطلاحي والنقدي للفلسفة » للأستاذ Lalande (باريس ١٩٣٢) فثمة يدري كيف يذهب الاصطلاح الفرنسي إلى أبعد مما يظن . وله أن يقرأ أيضاً — ليُحكم معرفة المصطلح لهذا العهد مثلاً — كتابين للفيلسوف برجسون Bergson وهما : Essai sur les données immédiates de la conscience و L'Evolution créatrice (الباب الثاني) ثم كتاباً للعالم بوانكاريه عنوانه Science et méthode (الفصل الأول من الباب الثالث)

وإذا أراد الأستاذ أدهم أن يعرف ما تحت مصطلح intuition قبل هذا العهد فعليه ببعض ما كتبه Descartes و Leibniz و Kant خاصةً في « نقد العقل الصرف » ثم شوبنهاور

هذا من جهة المصطلحات الفلسفية ، وأما من جهة المواضعات العربية فما ضر الأستاذ أدهم لو راجع معجمات اللغة ونظر في دواوينها قبل أن يكتب في نقد « مباحث عربية » (الرسالة ، العدد ٣١١ ص ١٢٢٩) : « ثم عندك قول الكاتب (يعنيني) إن للفظة الشرف مفادات متجاورة تارة ، متباينة أخرى » . ثم يزيد : « ففي هذا التعبير لفظة المتجاور تفيد إفرنجيًّا معنى synonyme والقصور واضح في التعبير العربي (كذا !) فضلاً عن أن التعبير غير مستقيم من جهة البناء اللغوي (كذا ؟) ولكي تتسق مفادات العبارة لا بد من إبدال لفظة : المتجاورة من الجملة بالمتشابهة لأنها أدل على المعنى وأكثر اتساقاً في الجملة »

على أني لا أحب أن أسأل الأستاذ أدهم كيف يناقشنا في لغتنا وهو لا يزال يأخذها عنا ، كما اعترف بذلك في خاتمة مقاله المنشور في العدد الماضي . إن كل ما أبتغيه أن أرشده إلى كتب اللغة العربية ليتبيَّن أن معنى لفظة synonyme تؤديه في العربية الفصحى لفظة « المترادف » (وما هذه اللفظة عنيتُ في جملتي المذكورة قبل) . وأعلم أن كلمة synonyme في الإفرنجية هي الألفاظ المفردة الدالة على معنى واحد (أو متقارب) . وإلى الأستاذ أدهم « مثلاً » فصلاً قريب المنال في « المزهر » للسيوطي (النوع السابع والعشرون)(١)

***

العلم في مصر أمسى شيئاً مقدساً له سَدَنَته وله حراسُه . فكيف يأخذنا القول بالظن والكلام المتحدي والجدال المتحكم والتظاهر بالتثبت والدراية ؟ . . .

فالروِيَّةَ الروِيَّةَ عند الإقبال على الاشتغال بالعلم أو على نقد من توفر عليه . والنقد أمر لا ثمرة فيه إذا حاد عن خدمة العلم وحده . والنقد للعلم مصباح على أن يكون الزيت لا دخل فيه !

***

بقي أن أودع القارئ ، وأنا راحل إلى أوربة بعد أربعة أيام . وإني لشاكر له صبره ، فقد أطلت الكتابة في سبيل « وضع الشيء موضعه » . ورجائي منه أن يتحقق ما جاء في هذه الكلمة : فكتاب « الفهرست » و «سفر دانيال» — مثلاً — مبذولان لكل أحد . وإني لمطمئن إلى أن القارئ سيعرف — من طريق المراجعة والتحقيق — كيف ينظر عني فيما يبدو لهذا أو لذاك أن يكتب ويكتب . والسلام ، وإلى اللقاء بعد أربعة أشهر

بشر فارس
دكتور في الآداب من السوربون

---

(١) هذه مراجعة لبعض أقوال الأستاذ أدهم في «مباحث عربية» . ويجد القارئ في مقتطف أغسطس المقبل (باب المراسلة والمناظرة) مراجعة كل ما قاله الأستاذ أدهم . وذلك إلى جانب النظر في آراء طائفة من الكتاب الذين عرضوا لنقد ذلك الكتاب على بصيرة .